**مجزرة حماه**

**القصه الحقيقية بالأسماء والوقائع والأرقام واصور لأكبر مجزرة في العصر الحديث**

اهداء

الي كل يتيم ويتيمة......

الي كل مشرد في محنة الوطن.....

الي كل اليتامي واليامي والثكالي......

الي الذين بكو الطفل والزوج والأخ والصديق والحبيب

الي كل فلسطين وسور ولبناني وعربي من ضحايا نظام أسد الخياني العميل  
الي كل مكافح في سبيل تقريب يوم الخلاص...

نهدي....

هذا......

الكتاب.......

مقدمة

الي حافظ الأسد

"إن كل عطور جزيرة العرب لن تطهر هذه اليد الآثمة"

" شكسبير "

**حماه ... مذبحة العصر**

في مساء الحادي عشر من شهر شباط – فبراير – لعام 1982 فغر آلاف المشاهدين علي شاشات التلفزيون في انحاء العالم أفواههم دهشة لدي سماعهم خبرا مقتضبا يقول بأن مذبحة تجري في مدينه صغيرة وسط سوريا منذ أحد عشر يوما التحديد , وأن حربا حقيقة تشنها القوات المواليه للحكومة علي سكان المدينة تدور رحاها هناك... ودون أن يعلم بذلك أحد.

احد عشر يوما والمذبحة مستمرة . ولا خبر . لم يسمع سكان هذا الكوكب الذي نعيش عليه شيئا , لولا تصريح عابر من مسؤول في دولة كبري تلقفته وكالات النباء العالية فرددت أصداء في كل انحاء العالم.

بعد مرور أحد عشر يوما إذن بدا بعض الناس يعون أن مذبحة رهيبة تجري وسط سوريا وفي مدجينة حماة بالتحديد, مذبحة استمرت طبعا بعد إذاعة النبأ وحتي نهاية شهر (فبراير)**.**

أيام قليلة فقط استمر حديث الصحف وشبكات التلفزيون عن الاحداث ثم اسدل الستار من جديد – ستار الصمت والنسيان – علي تلك الكارثة المروعة .

ولكن .. كل ما قيل وما كتب وحتي الآن حول هذه الماساة لا تمثل إلا جزءا بسيطا من الحقيقة المذهلة.

الحقيقة الكاملة . حملها معهم الي القبور أولئك الذين قضوا تحت انقاض منازلهم ... السر الكبير يرقد هناك في المقابر الجماعية التعبير الفاجع عن "الحضارة الجديدة" للطغمية العسكرية الحاكمة في سوريا. الحقيقة , حقيقة الحصار والخوف والتعذيب والسحل في الشوراع وحرق البشر وهم أحياء وقلع العيون وكسر الإضلاع لا يمكن أن يعبر عنها إلا من كابدها وعاناها- وهؤلاء لم يعودوا بيننا وهنا تكمن المأساة .

والحقيقة أيضا حملها بعض من بقي من الأحياء ممن تيسر لهم أن يروا الأحداث عن كثب وأن يعايشوها آلاما ومرارة ومعاناة.

وبعض من هؤلاء ممن نجوا من المجزرة يقدمون لنا شهادة دامية عما سمعوه وعانوه ورأوه وهي ستكون موضوع هذا الكتاب.

ولكن .. هل يمكن للكمات أن تصور للقاريء ما جري بالتحديد في تلك الليالي السود من شهر شباط.

هل بامكان العربية أن تعبر عن هذه المأساة؟

لا .. لاشيء يعكس الحقيقة ب قدر المشاهدة والمعايشة والمعاناة.

كل الكلمات تقف عاجزة كسيحة أمام هول ما جري من أحداث.

هل سمعتم بالطفل يذبح أمام والديه ويلقي به في حديقة المنزل وهو يستغيث ويتخبط بدمه – قبل أن يلفظ أنفاسه – ولا أحد من أهله يجرؤ حتي علي الصراخ!؟ .

هل أخبركم أحد عن ذلك الأعمي الذي ظل يصرخ بعد أن ذبح سكان حيه وتركوه وحده يحترق في منزله ورجع صداه ألسنة اللهب !؟

هل نبئتم بخبر تلك الفتاة التي أتوا يطلبون أخاها فلما وجدوه قتلوه وحينما صرخ جزعا علي أخيها " كوموها" قتيلة فوقه !؟

شيء فوق الوصف ... وفوق طاقة التعبير....؟

هنا تتواري البلاغة خجلا أمام الوقائع الفظيعة .. وينتحر البيان؟

هنا يتوقف الزمن عن الدوران – كما توقفت النواعير رمز الزمن – مجددا الما قبل والما بعد : نقطة سوداء فوق جبين التاريخ......

من يقتل الطفل؟

من يقتل الشجر؟

من يغتال الشاعر؟

من يذبح الفتاة في ليلة الزفاف؟

أسئلة دامية .. تبحث عن عدو النسان ... وعدو الحياة.

لقد تيسر لضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا بعض الصحافيين الذين شربوا صورا حية عرضت علي شبكات التلفزيون العالمية فكان الذعر وكانت الصدمة التي أصابت الضمير العالمي في الصميم.

ولكن ضحايا مجزرة حماه .. الذين هم علي الأقل 10 أضعاف ضحايا صبرا وشاتيلا لم ينجدهم أحد .... واأسفاه !

كان هنالك ستار حديدي مضروب حول المدينة طوال شهر الأحداث ولا صور ولا صورة حيه تسربت ... فقط الأخبار .. ولكن أين سطوة الكلمة من سطوة الصور’؟

كل الصور التي تسربت – كانت بعد انتهاء المجزرة , بعد أن أخفت السلطة الجريمة حيث قامت جرافات النظام بدفن كل القتلي والاموات في حفرة جماعية ولو يبق للصورة والمصورين إلا أطلال المدينة والخراب.

ماذا عن الشهداء؟

يقولون سته آلاف قتيل ويقولون عشرة آلاف – والحقيقة أنهم تجاوزا الخمسة وعشرين ألف شهيد......

" ويقولون إن مزع الأنسان خليط في أكوام الردم ويتحدثون عن صدي الأنين البشري من تحت النقاض وعن الرعب في وجوه أطفال أجسادها بعيدا في العراء".

لماذا هذه الفاجعة ؟

" لو أنه زلزال مدمر – كما يقول كاتب عربي – لو أنه سيل عرم يتدفق مع (العاصي) , لو انها من دواهي الطبية لهان الخطب .. ولكن حماة سلسلة طويلة في حلقة بدأت من زمان (بالذبح المنفر) وانتظمت في السلسلة مذبحة تدمر وأحداث حلب وأخيرا "المذبحة الجماعية الكبري".

من هم الجناة ؟

لو أنها حملة استعمارية أو هجمة صهيونية لو أنه "غورو" او "اللنبي" 0 لو أنه "ديان " لهان الخطب وقيل إنهم الغزاة والأعداء .. ولكنهم ليسوا أولئك ول هؤلاء . إنهم "حملة الأمانة " – "اللقيمون علي أمور الشعب " الذين كانوا في الأرض هذا الفساد!!؟

مأساة ؟ فاجع’ ؟ كارثة ؟ أم ماذا !؟

إنها الفصل الأهم والأكثر تعبيرا في العمق عن التراجيديا العربية المعاصرة . إنها "المهاة – الماساة " – ملهاة نظام خائن يتلهي بماساة الشعب .... وتلك شر المآسي.

لقد قرا الناس وسمعوا عن مجازر أخري عبر التاريخ:

"اوشواتز" اسم ترددت أصداؤه بعد الحرب الكونية الثانية وما تزال.

"ماي لاي" تلك المذبحة التي ارتكبها الجنود الأمريكان في أحدي قري فيتنام.

"اورادور" تلك القرية الوادعة في الشمال الفرنسي التي روعها النازيون شر ترويع فقد ذبحوا جميع من فيها من أطفال المدارس الصغار وأحرقوا النساء وقتلوا الرجال ولم ينج من أهل القرية أحد سوي طفل وامرأة واحدة بقيت لتروي للناس الي أي حد بلغ بالنازية الجنون .

وأخيرا "صبرا وشاتيلا" .... مجزرة المدنيين الفلسطينين في لبنان و " مجزرة حماة " تأتي اليوم لتأخذ مكانها في صف واحد مع هذه المجازر الرهيبة التي لطخت بالعار جبين مرتكبيها والي الابد.

ولكن ... وبأمانة للتاريخ ... اين صبرا وشاتيلا من حماة ؟ وأين من حماه أورادور؟.

في ماي لاي لم يتجاوز عدد الضحايا "500" ... في أورادور "634" ضحية....وحتي صبرا وشاتيلا فلم يتجاوز العدد خمسة آلاف.

أما حماة فقد بلغ عدد الضحايا أكثر من "25000" إنسان هذا هو أولا الفارق الكمي بين تلك المجازر ومجزرة حماة.

وأما الفارق النوعي – إذا صح التعبير – وهو الشيء الأرهب – فيمكن في أن مرتكب تلك المذابح كان غازيا أو غربيا مثل النازية في فرنسا أو الصهيونية في لبنان أما مرتكب جريمة حماة فهو حاكم البلد نفسه .... " الذي في يده الأمانة " !!؟

مجزرة حماة لم تكن دونما نتائج فقد شكلت وطنيا وخلقيا فضيحة النظام . لقد كشفت للعالم عن وجهة القبيح الذي كان يخبئه تحت البرقع الفظية البائسة وكشفت حقيقة رأس النظام .. هذا الوحش البشري الممتليء حقدا ودموية وخيانة .

هنا بالظبط تكمن هزيمته المريرة.

وبهذا ايضا تستحيل مدينة أبي الفداء باستشهادها الي رمز انتصار... انتصار الدم ... علي السيف.

والضحية ... علي القاتل.

والأنسان ... علي "الأنسان – الحيوان .

الفصل الأول

**مدخل تاريخي**

لقد تعاقب علي سوريا منذ الاستقلال وحتي اليوم حكومات كثيرة ومتنوعة وكانت هذه الحكومات تتفاوت في درجة قربها أو بعدها من الشعب .

برز اسم حافظ الاسد لأول مره عام 1963 حيث كان أحد العسكريين اللذين شاركوا في حركة 8 آزار.

منذ ذلك الحين بدأ الاسد يتقدم نحو السلطة المطلقة بحذر شديد مستخدما اسلحة فتاكة : الكتمان , المناورة, وتكتيل الأنصار في الخفاء.

بعد انقلاب 23 شباط من عام 1966 أصبح ثاني اثنين يتحكمان بمصير سوريا وجمع بين يدية مناصب حساسة للغاية: وزير دفاع وعضو قيادة قومية .

في عام 1970 وبعد أن اطمأن إلي رجحان كفة انصاره تماما خطا الخطوة الأخيرة علي طريق الانفراد بالسلطة . وهكذا أصبح "الحاكم الأوحد" الذي لا "شريك له " مؤيدا طبعا ومدعوما ممن أمريكا والرجعية العربية.

في 16 من تشرين ثان 1970 بدأ عهد جديد في سوريا نوعيا عن كل العهود السابقة منذ الاستقلال وحتي الآن.

في أول بيان للحركة التصحيحية التي قادها , تحدث الاسد عن برنامجه مغدقا الوعود للشعب السوري : الديمقراطية , حرية المواطن وحريه الوطن , جبهة وطنية تضم القوي السياسية الفاعلة , إعداد دستور دائم للبلاد والاستعداد العسكري لاسترجاع الأراضي المحتلة..... الخ .

كان الاعلان عن هذه البنود محاولة نمطية من قبله فهي تعبر فعلا عن أماني الجماهير وتتبني شعاراتها – ولكن كان ذلك شكليا فقط وليسهل فيما بعد نسفها من الداخل- ونزلت الجماهير في المدن الي الشوارع لتستقبل "المخلص" و "المنقذ" الجديد . بحماسة لا بأس بها.

وفي مدينة حماة بالذات – والتي سيدمرها فيما بعد – حملته الجماهير علي الاعناق ونحرت علي قدميه الذبائح والقرابين تعبيرا عن الالتزام بهذه الاهداف المعلنة . وهذا دليل قاطع علي أن جماهيرنا في سوريا – وفي حماة بالذات – بعيدة عن الطائفية وتنطلق في ولائها أو معاداتها للنظم علي اساس سياسي وليس بحت وليس لأيه اعتبارت أخري سارت الامور كيفما اتفق حتي حرب أكتوبر 1973.

لم ينفذ الاسد من وعوده شيئا وما نفذه كان مفرغا من المضمون, بدل الديمقراطية تضاعفت اعداد المخابرات. الدستور الدائم للبلاد كان هو أول من تخطاه ونسفه بالممارسة العملية , والجبهة الوطنية التقدمية" التي كونها كانت كرتونية وكاريكاتورية .

وبدأ احساس غامض يخالج وعي الجماهير بأن الحاكم الجديد يتمتع بصفة جدية هي " الازدواجية" , وله ظاهر وله باطن مختلفان عن بعضهما تماما . سرق شعارات الجماهير وتبناها شكليا ليسهل عليه فيما بعد نسفها من الداخل .

ايام قليلة بعد حرب أوكتوبر وتبأ الخيوط المتشابكة تتكشف شيئا فشيئا.

محادثات فك الارتباط – زيارة نيكسون لدمشق – رحلات كسينجر المكوكية – الانفتاح علي السوق الراسمالية .... كانت كلها اشارات أولية اعطاها النظام حول طبيعته الحقيقة – هذه الطبيعة التي كاول أن يغلفها بألف ستار وستار.

13 نسيان 19975 بداية الحرب الاهلية اللبنانية . هنا يبدو النظام السوري لأول مرة علي حقيقته سافرا تماما : لغم موقوت داخل الأمة , وحصان طروادة داخل حركة التحرير العربي .

تحت اعذار واهية يدخل اسد قواته الي لبنان لتتصدي للمقاومة الفلسطنية والحركة الوطنية اللبنانية ولتنفذ أول مجزرة ضد الفلسطينيين في تل الزعتر . المجزرة رقم 1 للنظام السوري والتي ستليها مجازر . كان كثير من القذائف التي تتسافط فوق رؤوس المدنيين الفلسطينيين من النساء والاطفال من صنع معامل الدفاع السورية !!! وكان هناك ظابط سوري كبير في غرفة عمليات الكتائب اثناء القتال (علي المدني رئيس المخابرات العامة).

إن مذبحة تل الزعتر التي اشترك فيها حافظ اسد مع اليمين اللبناني الفاشي كانت " أول الغيث " في سلسلة المجازر التي سيرتكبها فيما بعد في لبنان والداخل السوري.

كان التدخل السوري في لبنان نهاية مرحلة وبداية مرحلة.

منذ ذلك اليوم بدأت تتساقط الواحدة بعد الأخري وبسرعة خارقة جميع أوراق التوت التي كان يختبيء تحتها النظام .

إن سؤالا مأساويا بقي معلقا في وجدان الجماهير في سوريا ولبنان وفلسطين : كيف يستخدم "جيش ميسلون " , جيش سوريا ذو التقاليد الوطنية العريقة في ذبح الشعب الفلسطيني والوطنيين اللبنانيين؟.

منذ ذلك التاريخ ... بدأت البلاد تسير نحو الأزمة بشكل واضح للعيان – لم يكن الشعب السوري راضيا ابدا عن التدخل في لبنان لأن هذا التدخل بالكيفية التي تم فيها صب الماء في طاحونة الأعداء : اليمين الفاشي واسرائيل وكذلك لم يكن الشعب راضيا ألبتة عن سياسة النظام في الداخل القائمة علي القهر والارهاب والتمييز الطائفي بين المواطنين.

في سنة 1980 حين حلت الذكري السادسة عشر لحركة الثامن من لآزار كانت المدن السورية كلها تقريبا في حالة اضراب شامل ضد النظام والحياة العامة في حالة شلل شبه كامل . فنزلت الجماهير الي الشارع تطالب بالحرية وتحركت النقابات المهنية وبعت بمذكرات الي رأس النظام تطالب بأنهاء الأحكام العرفية وقانون الطواريء الجاثم علي البلاد منذ سبعه عشر عاما بالتحديد. وتحركت الاحزاب والقوي السياسية تطالب باتاحة الديمرقراطية للشعب وانهاء التسلط الفردي والعسكري .

فماذا كان جواب النظام؟

بدل أن يستخلص اسد الدروس من هذا التحرك الشعبي الهائل. أتي الرد من قبله مزيدا من القمع ومزيدا من الطغيان.

وهكذا تحول عام 80 الي عام مواجهة شاملة في المدن والأرياف بين الشعب والنظام ولقد لجا النظام الي استخدام كل اسحلته في مواجهة الغضب الشعبي الساطع ولكن ذلك لم يجد فتيلا . وهنا لجأ الي الحل الجنوني ... فقد زج بقواته المسلحة في الداخل وتركها لتستبيح مدنا بأكملها ولترتكب افظع المجازر في تاريخ سوريا الحديث. وتتابعت الضحايا بالمئات لا بل بالآلاف وأغرقت سوريا في بحر من الدم والجريمة المنظمة .

لا يتسع المجال هنا للحديث عن كل آثام النظام وبالتفصيل ..... ان ذلك يلزمة مجلدات.

سنكتفي هنا بالمرور سريعا فوق الاحداث لنستعرض مع القاريء أهم انجازات حافظ أسد وطغمته في الميدان " الحضاري والانساني" – وللذكري فقط :

1. مجزرة جسر الشغور : قصفت المدينة بالطيران ... عشرات الجثث تحت الانقاض واعدامات ميدانية.
2. مجزرة سرمدا : قرية صغيرة في محافظة حلب احاطت بها الوحدات الخاصة وتم اعدام قسم من اهلها في مدرسة القرية بتهمة ايواء بعض رجال المعارضة الوطنية.
3. مجزرة حي هنانو في حلب : بحجة ان عيارا ناريا انطلق من حي فاصاب أحد العناصر العسكرية ... نزلت الوحدات الخاصة الي هذا الحي وجمعت كل من كان فيه وأعدمتهم جميعا : 90 انسانا.
4. مجزرة تدمر : وهي أخس المجازر وأشدها نذالة علي الاطلاق . بتاريخ 25 حزيران 1980 قام بعض ظباط الحرس الجمهوري بمحاولة اغتيال لحافظ الاسد . وفي اليوم التالي لهذه المحاولة توجهت تحت اشراف شقيقة رفعت اسد 12 طائرة هيليكوبتر من مطار حماة الي سجن تدمر العسكري تحمل كل منها 30 عنصر من سرايا الدفاع فطوقت السجن وأخرجت الحراس منه ثم طلبت الي المعتقين السياسيين ان يتجمعوا لتتأكد من وجودهم جميعا وبعد اجراء التفقد وايهامهم بأنها ستطلق سراحهم فاجاتهم باطلاق النا رعليهم بكل وحشية ومن كل الجهات ... وانصبت عليهم نيران الرشاشات وقاذفان اللهب والقنابل الحارقة حوالي "700" معتقل سياسي ضحايا من خيرة ابناء شعب سوريا فيهم الطبيب والمهندس والصيدلي والمحامي والطالب.

وبعد ارتكاب هذه المجزرة المروعة حفرت عناصر الغدر والاجرام حفرة "طبيرة" في واد شرق تدمر وحملت الجثث وألقتها فيها.

وبعد ان نفذت هذه العناصر مهمتها عادت الطائرات الي دمشق ليستقبلهم معين ناصيف (صهر رفعت اسد) واصفا عملهم "بالبطولي" وموزعا علي كل واحد منهم (2000) ليرة سوريه مكافأة علي ما تقترفه يداه!!

5- مجزرة حماة الصغري : انها صغري مجازرها ولكنها فظيعة في الواقع .. ولابد من وقفة عندها في الصفحات اللاحقة مع سنوات الحزن الثلاث السابقة عليها.

**أعوام الحزن الثلاثة**

**ونسيان الدامي**

حماة مدينة عزلاء ذات طابع يجمع بين تطلعات الحضارة وبين الاحتفاظ بكثير من ملامح الماضي , منذ سنوات ثلاث وهي تنام علي وقع الحزن والخوف تلملم نفسها وتنكمش علي جراحها.

منذ السادسة مساء تقفز شوراعها الا من عابر مسرع يتجه بيته قبل ان تطبق عليه واحدة من الدوريات المسلحة المنتشرة (تحت شتي الاسماء) في كل الشوراع والطرقات فتشبعه ضربا وركلا وشتائم او تقوده الي مكان مجهول يبقي فيه حتي الموت ودون ان يعرف اهله عنه شيئا.

المدينة مذ سنوات ثلاثا تتحول في الليل الي مدينة اشباح لا شيء يوحي بحركة الحياة ... الحياة هنا اصبح لها طعم الموت , ان لم يكن علي يد الوحدات الخاصة فهناك سرايا الدفاع وان لم يكن هذه او تلك فان الكتائب المسلحة وعناصر المخابرات التي تملأ المدينة تتكفل بمتابعة المهمة , والهدف في كل الحالات حياة المواطن وأمنه وكرامته, الليل في حماة له طعم خاص .. ففي عتمته ارتكب زبانية حافظ اسد كل الجرائم وفي عتمته ساق الجبناء رجال المدينة وذبحوهم وهم لا يزالون بثياب النوم وتركوا جثثهم الممزقة والمشوهة مرمية علي المزابل او علي طرقات القري.

وعبر سنوات العذاب الثلاث كانت حماة تموت رويدا رويدا وبطريقة عبثية دائما ... مزيد من القتلي , مزيد من المعتقلين و مزيد من البيوت المخربه . وبلا مبررات سوي التصميم علي ذبح المدينة.

قد نستطيع ان نختصر هنا ما كان من صور هذا العذاب البشري علي يد السلطة الطائفية وصولا الي نسيان من عام واحد وثمانين حيث اندفع القمع السلطوي الي مشاريع النهايات ... تاركا الفصل الأخير الدامي للمجزرة الكبري بعد اشهر تسعة في شباط (فبراير) من عام اثنين وثمانين.

1. المدينة عام تسعة وسبعين:

السلطة تطوق المدينة باعتقلات جماعية كيفية .. ثم تقدم علي اعدام بعض رجالها .. وبينهم أطباء ومهندسون .. وتطور قمعها الي اسلوب جديد حين تعمد الي هدم بيوت المواطنين الفقراء – وفي أكثر الأحياء فاقة وبؤسا – بحجة ايواء بعض مقاتلي المعارضة الوطنية.

1. المدينة عام ثمانين

الحصار يشتد علي حماة بعد الاضراب الذي شمل سوريا في مطلع هذا العام ومئات من الشباب يزجون في المعتقلا . والبيوت بأكملها تحاصر وتفتش ويقتل عشرات الرجال علي عتبات دورهم.

وهذا العام شهد ايضا اولي علميات الاعدام الجماعي بحق المواطنين , فقد اقدمت عناصر من الوحدات الخاصة علي قتل اربعة من الاشقاء الفقراء المعدومين .. من (آل جقيتي) وتركت جثتهم المدماة في الزقاق الضيق من حي الوادي البائس وعلي مرأي من الأم العجوز التي اصيبت بالجنون منذ ذلك اليوم.

وتستمر الحملة الشرسة بلا هوادة .. ويكفي أن نذكر أن ما أقدمت عليه السلطة الطائفية من عمليات القمع ضد اهالي المدينة قد بلغ في تلك السنة (تسعا وعشرين عملية ) أي بمعدل ثلاث مدهمات أو اعتقالات أو موت جماعي في الشهر الواحد.

**ومن الجرائم المروعة التي هزت مشاعر المدينة .. واثارت نقمتها علي السلطة الجائرة ذلك العام نقف عند الصورة التالية....**

* صورة الدكتور عمر الشيشلكي نقيب اطباء حماة .. الذي اقتادته السلطة الحاقدة من بيته وعلي مرآي من زوجته واطفالة ثم ذبحته بعد أن اقتلعت عينيه ورمت جثته في احدي القري القريبة .
* صورة الدكتور عبد القادر قندقجي الذي اختطفته من مستشفاه وتركوا جثته مقطعه مشوهة مربوطة بالحجارة علي طريق مصياف.
* صورة الشيخ الفاني ابن الثمانين عاما خضر الشيشكلي الذي أحرقت جثته ( وهو حي) ثم رمتت علي مزابل المدينة.
* صورة المواطن احمد قصباشي الذي وجدت جثته مشوهة قرب احد جسور نهر العاصي .
* صورة الدكتور طاهر حداد الذي سحبوه من فراشه وهو لا يزال بثياب النوم وقتلوه حافيا علي باب داره امام زوجته واطفاله الصغار.

وغيرهم كثير, وكلهم رجال آمنون شغلتهم حياتهم المهنية عن الاهتمامات السياسية , وذلك عوقبوا وذبحوا علي هذا النحو المفجع علي يد السطلة الطائفية.

هنا بالذات كان أهل المدينة العزلاء ومعهم كل الشعب السوري يطرحون اسئلة جدية حول حقيقة التوجهات الطائفية للنظام .. لأن الرصاص الذي كان ينصب علي جسد الشعب الامن ليس له الا تفسير واحد مهما كذبت السلطة وادعت , هذا التفسير هو تأجيج الجذوة الطائفية وتسعيرها الي الهدف النهائي الذي هو التفسيم تقسيم سوريا.

1. المدينة عام واحد وثمانين:

سلم القمع يتصاعد سريعا بحث تصبح العمليات الدموية داخل المدينة اكثر شمولا وتتناول اكبر عدد ممكن من الأهالي الآمنين.

وكانت السلطة من جانبها لا تخفي هذا الهدف ... عبر تهديدات (رفعت اسد) بالذات من خلال الصحافة الرسمية أو من خلال الاجتماعات الحزبية عن ضرورة ممارسة العقاب الجماعي بحق المواطنين حيث لا حياد مع السلطة وكان هذا الارهابي يضرب من سلوك جيش الردع في قصف احياء بيروت مثلا حيا.

لهذا يجتمع عساكر السلطة في الشهر الاول من عام 1981 الآلاف منسكان الأحياء ويضعونهم داخل المدارس المفرغة ويتركونهم رهائن لعدة ايام ... يخضع الأهالي خلالها لأشد اشكال الاذلال الانساني قساوة ( المشي فوق الظهور - الضرب علي الراس باعقاب البنادق – التجويع – استخدام الجنازير في الضرب علي الراي والبطن – العض والنهش كالكلاب – الوقوف علي قدم واحدة الخ .... ) ويستوي في المعاملة الشيخ الفاني والطفل الصغير والشاب والمراهق.

بعد يومين أو ثلاث يفك الاسر عن الآلاف من المضطهدين ابناء المدينة الصابرة يعود اكثرهم الي بيته منهكا مريضا ... اما ما تبقي فتحجزه السلطة بحجة متابعة التحقيق .. وهؤلاء سيختفي اثره كليا بعد ذلك .

طوال اشهر اربعة من بدء ذلك العام لا تنتهي قصص العذاب... لا يمر اسبوع دون حادث ما .. تنتهك فيه كرامة مواطن بضربه واذلاله علي مراي من الناس وفي عرض الشارع أو يهدم واحد من البيوت القديمة الفقيرة ... او يقتل شاب اشتبه فيه ... او يعتقل عشرات من طلاب الجامعات .. وهكذا يصببح القمع والارهاب الخبز اليومي لشعب المدينة الأبي الصامت علي جراحه.

**نيسان (ربيع الدم)**

ويطل نسيان .... في هذا الشهر من السنة يكون الربيع علي ضفاف العاصي رائعا ... لكن المدينة التي نسيت لون الفصول , لم تر من ربيع عام واحد وثمانين سوي لون الدم.

فقد اتخذ القمع الطائفي فجأة قفزة نوعية جديدة تناولت هذه المرة شوارع وأحياء كاملة حيث عمدت السلطة الي ابادة كل سكانها دفعة واحدة ودون استثناء ودون تميز .. وكان الهدف ترويع الأهالي وتسعير الأحقاد الطائفية بالاقدام علي قتل اكبر عدد ممكن من الرجال , في عمليية صاعقة لا تتعدي الساعات تدخل خلاها – كتائب – من فرق الموت التابعة لسرايا الدفاع .. وتنفذ عمليات الاعدام الفوري استنادا الي خرائط ميدانية مقدمة لها تحدد الأحياء والشوارع التي تقرر حذف البشر منها , وحين تنتهي المهمة ويجب الا تستغرق اكثر من عشر ساعات ... تعود فرق الموت كما جاءت علي طائرات هيلوكوبتر خاصة .... ليستقبلها (رفعت اسد) ويقدم لها المكآفات علي بطولتها.

هذه المذبحة تناولت أحياء شعبية تقع وسط المدينة ومكتظة بالسكان البسطاء الآمنين . (المحابة – المشارقة – بستان السعادة – طريق حلب – سوق النحاسين ) وكانت حصيله القتلي اكثر من مائتي تركت جثثثهم تنزف في الشوراع حتي الموت ودون ان يسمح لذويهم المفجوعين حتي بدفنهم.

وقد اشارت عناصر الشرطة التي كلفت بالدفن حينذاك الي وجود بعض الجرحي بين القتلي ... تركوا ينزفون حتي ا لموت ... وكان يسمع انينهم وهم محمولون مع باقي الجثث علي سيارت انقايات من اجل دفنهم في الحفر اجماعية في مقبرة سريحين.

وشهود العيان من الاهالي يرون الفجيعة والذهول , كيف كان المجرمون السايدون يمارسون عمليات القتل في ابشع صورة ... كانوا يستخدمون البلطات والسكاكين في تقطيع اجساد الشهداء وهم احياء . ثم يعلقون الجثث المذبوحة كالخراف علي ابواب الدكاكين .. وقد حدثت هذه الواقعة بالتحديد في (سوق النحاسين).

وروي الأهالي في أماكن أخري أحاديث كثيرة عن الجند الجبناء فقد عمدوا في احياء المحالبة والمشارقة الي ضرب الشهداء في ظهورهم – كانوا يطلبون منهم العودة الي بيوتهم – وحين يستديرون يعالجهم الرصاص من الخلف.

الشهيد المحامي حاتم جحا .. طلب منه جنود سرايا الدفاع هويته الشخصية فاعطاهم اياها ثم امروه أن يدخل بيته وحين استدار انهالوا عليه بالرشاشات في ظهره فخر صريعا علي الفور .

وفي هذه المجزرة ابيدت عائلات بأكملها (الاب والابناء جميعا)

عائلة الشامي فقدت أحد عشر شهيدا من الاخوة.

عائلة رزوق الحمصي فقدت الأب مع أبنائه جميعا.

عائلة أحمدو : قتل الأخوة جميعا وعددهم ستة , ولم يبق في البيت المهدم سوي النسوة والأرامل والاطفال اليتامي.

والأمثلة كثيرة جدا ... لا يسع لذكرها جميعا.

وهكذا .. كان نسيان الدامي الشاهد النهائي والثابت علي السلوك الطائفي , فقد سقط قناع وتكشفت الصورة عن اقبح طبيعة مجرمة تتواصل الي تحقيق هدفها بمص الدم البريء . وفي نسيان ابضا , تستوقفنا بعض الظواهر الكاشفة عن طبيعة السلطة نأتي عليها بسرعة قبل الانتقال الي المذبحة الكبري.

**فقد تبين بعد احصاء اسماء القتلي .. أن بينهم (خمسا وعشرين) قتيلا من الأعضاء العاملين في مكتب العمل التابع لحزب السلطة الحاكم .. وكما روي اهالي هؤلاء .. فقد اظهروا جميعهم البطاقات الحزبية للجنود الذين كانوا يرتكبون المذبحة .. ولكنها لم تشفع له وكانوا في عداد المرمية في الشوارع .**

وقد اثارت هذه الواقعة خوفا وهلعا شديدين في صفوف الحزبيين داخل المدينة .. حيث تبين ان الحصانة قد رفعت عن الجميع كما أن هؤلاء الجميع ينتمون الي مدين حماة , مما حدا بأعضاء القيادة الحزبية في المدينة الي طلب اجتماع عاجل مع اعضاء القيادة في دمشق لتدارس هذا الموضوع الهام.

وفعلا تم الاجتماع داخل الصالة الرياضيه في المدينة .. برئاسة (زهير مشارقة) مندوبا عن السلطة الحاكمة .. وفيه طلب الحاضرون من اعضاء فرع الحزب في حماة تفسيرا لمقتل هؤلاء الاعضاء بل تساءل بعضهم عن الغاية من دخول سرايا الدفاع الي تفسسير لمقتل هؤلاء بل تساءل , هل هي بهدف ملاحقة بعض المعارضين . أم هي بهدف الابادة الفعلية لكل حموي مما يدعم ويؤكد النهد الطائفي للسلطة التي يدينون بالولاء لها.

مندوب السلطة القادم من دمشق احتج وانسحب .. وعنف الأعضاء الحاضرين قائلا لا اسمح بانتقاد الجيش لأنه عمليا ينفذ رغبات الرئيس ويعرف جيدا المهام الموكولة اليه .. ثم إنه يحمينا جميعا...

علي اثر هذه الواقعة تم اعتقال جميع الحزبيين الذين ابدوا الاعتراضات ... هذا يؤكد – بما لا يقبل الشك – أن السلطة قبل المجزرة الكبري , ومنذ نيسان 1981 اصدرت حكم الاعدام علي المدينة بصورة نهائية , وهذا الحكم سيتناول كل أبنائها مهما يكن موقعهم أو انتماؤهم السياسي.

لكن نسيان الدامي لم يكن الخاتمة .. بل كان المؤشر العملي لدخول السلة القامعة مناخ التطبيع الطائفي , وصولا الي شباط ... شهر الماساة حيث المنعطف الخطير الذي ستدخل – بعده – سوريا المجهول .

هذا المنعطف الذي تمثله حماة الكبري – بل ام المجازر في العصر الحديث.

الفصل الثاني

**المجزرة الكبري**

**شهادات صحفية:**

قبل الدخول في تفصيلات المجزرة الرهيبة عبر شهادات حية . نضع هنا أمام أعين القاريء شهادات أخري لأناس ليسوا عربا .. وليسوا سوريين , انما هم صحفيون أجانب أبي ضميرهم الانساني واخصلاهم للحقيقة الموضوعية إلا أن يساهموا في اماطة اللئام عن شيء من الحقيقة المفزعة , وكشف وجه النظام الهمجي الأسود.

هؤلاء الصحفيون لم يسمعوا عن المجزرة من مصادر بعيدة بل مكثوا طويلا في دمشق ينتظرون أن تسمح لهم السلطة بدخول المدينة .. ولكنها لم تفعل وظلت تراوغ بل وصل بها الأمر الي تهديد كل صحفي يفكر بالاقتراب ودخول حماة . صحفي واحد استطاع الدخول الي المدينة بعد عشرين يوما من الحصار , وكانت المذبحة قد قاربت علي النهايات مع ذلك نقل الي العالم ... رواية موضوعية عن مشاهداته ...

سنترك للصحفيين الأجانب .. عبر الصفحات القادمة أن يدلوا بشاهدتهم في المذبحة وفي النظام الأسدي مرتكبها وحامل خطاياها.

***" النموذج الأسدي"***

* برلين الثانية -

في حماة , منذ عدة اسابيع , تم قمع الانتفاضة الشعبية بقساوة نادرة في التاريخ الحديث . لقد غزا الأخوان أسد مدينة حماة , بمثل ما استعاد السوفيات والأمريكان برلين, ثم أجبروا من بقي من الأحياء علي السير في مظاهر تاييد للنظام , صحفي سوري مندهش قال موجها كلامة لأحد الظباط : " رغم ماحدث , فإن هناك عددا لا بأس به في هذه المظاهرة ". " نعم . اجاب الظابط وهو يضحك , ولكنه علي كل حال يبقي أقل من عدد الذين قتلناهم" !!!

صحيفة النوفيل أوبزرفاتور الفرنسية تاريخ 30 نيسان 1982

**"عزلة نظام دمشق "**

إن رئيس الدولة السورية ومساعديه الأقربين يعطون انطباعا بأنهم يعيشون في قلعة محاصرة . فأجراءات الأمن المتخذة لحمايتهم هي أكثر من استثنائية . كل اشوراع المؤدية الي القصر الجمهوري هي مغلقة أو محروسة بعناية شديدة , وكل المباني المحيطة به قد افرغت من سكانها وحولت الي مراكز للمرراقبة والرصد . كما أن رئيس لدولة لا يتجول في انحاء البلاد : إنه يكتفي فقط بالذهاب من منوله الي مكتبه , ومن حين لآخر فإنه يذهب للاستراحة في منزله الصيفي باللاذقية . ومن الجدير بالذكر ايضا أن القصر الذي يبنيه حاليا – قد قارب علي الانتهاء – والذي سيستعمله للعمل والاقامة , والقائم علي تلة منعزلة , هذا القصر سوف يزود بأجهزة إنذار وأمن حديثة للغاية وسوف يكون مجهزا بشبكة من الدهاليز الأرضية حيث توضع أشياء كثيرة منها طائرات هيليكوبتر خاصة.

أن رئيس الدولة هذا مذعور وخائف من عدة جهات : فهو يخاف معارضي الداخل مثل الاخوان المسلمين الذين سددوا ضربات عنيفة لقوي الأمن عام 1981 في حلب وحماة وحمص وفي دمشق , كما أنه يخشي " أخوة الأعداء" العراقيين , واللبنانيين الممتعضن من الوصايا السورية , وكذلك الفلسطنيين الذين ينظرون بعين الريبة والحذر الي سياسته الهيمينة في سوريا وفي المنطقة علي العموم.

يقدر عدد المعتقلين السياسيين في سجون النظام ب (20000 عشرون الف معتقل علي الأقل , وفي مدينة حماة لوحدها ارتكب النظام مؤخرا جريمة قتل أكثر من 10000 عشرة الاف انسان.

صحيفو اللوموند "LE MONDE" رقم 11584 – عدد 27 نيسان 1982

**"" في سوريا , الارهابي رقم واحد هو الدولة ""**

**20000 (عشرين الف) سجين سياسي , 10000 (عشرة آلاف ) قتيل في حماة 600000 (ستمائة الف ) شخص موضوعين علي اللائحة السوداء .**

هنالك علي الاقل 20000 (عشرين الف) سجين سياسي وربما وصل العدد الي 80000 (ثمانين الفا) في سوريا , حيث العنف والإرهاب السياسي هما اليوم عملة رائجة . إن جهاز القمع التابع للنظام مدهش للغاية : سرايا الدفاع بقيادة رفعت الأسد , سرايا الصراع بقيادة جميل الأسد , الوحدات الخاصو بقيادة علي حيدر , المخابرات العامة , .... وقد اشترت وزارة الداخلية مؤخرا من شركة فرنسية عقلا الكترونيا يمكن له أن "يفتش" (اي يضع علي اللوائح السواداء) 500000 (نصف مليون ) شخص دفعة واحدة.

لقد شهد عام 1981 بطولة قيام علميات مسلحة يقودها الاخوان المسلمون ضد السلطات في مدينة حلب وحمص وحماة . وكانت المواجهات بين الطرفين تدوم عدة ايام , آخذة احيانا شكل حرب حقيقة بين الجناح العسكري للإخوان وبين سرايا دفاع رفعت الاسد , "الحرس الإمبراطوري" التابع للنظام . وكانت الضحايا تتساقط بالمئات.

ولكن من بين كل هذه الحداث , فإن حدث حماة الاخير , الذي دام عمليا طيلة شهر شباط , كان الأكثر عنفا ونتج عنه عدد من الضحايا ا:ثر بما لا يقارن "انها أكبر مجزرة في العصر الحديث" , علي حد قول دبلوماسي سوفياتي , لا يمكن طبعا أن يشك بعدائه اصلا للنظام , لقد كان هناك علي الأقل 10000 (عشرة الاف) قتيل , ولكن مصادر أخري تتحدث ع (30000) (ثلاثون الفا ) وهو رقم قريب من الواقع إذا تذكرنا أنه , لكي يقضي علي الانتقاضة فقد زج النظام بالآف من سراياه , كما أنه قصف المدينة بالطيران فوق سكانها المدنيين , مما أدي الي هدم أجزاء كبيرة من المدينة.

صحيفة لوماتان الفرنسية رقم 1606 تاريخ 24 نيسان 1982

**"" وكان القمع مميتا أكثر من يوم حرب الكيبور (يوم الغفران)""**

**....** المدفعية الثقيلة تطلق قذائفها علي الآمنين وطوال اربع وعشرين ساعة . تساقطت آلاف القذائف والصواريخ علي حماة . كل مجمع سكني وكل منزل كان مستهدفا.

يقول دبلومسي غربي وصل مؤخرا من دمشق : " " إنه أعنف قصف حدث منذ حرب سوريا عام 1941 بين أنصار حكومة فيشي من جهة وأنصار فرنسا الحرة والبريطانيين من جهة أخري".

وأخيرا وحوالي منتصف الأسبوع الماصي , استطاعت الدبابات اختراق المدينة وطوال ايام كاملة , كانت المعركة مستمرة وبشدة , من بيت الي بيت أو بالاحري من أنقاض الي انقاض . وهذا وتتكم الدولة علي عدد القتلي والجرحي من الجانبين.

ويستضيف الدبلوماسي الغربي قائلا : " ولكن الطلب علي الدم في المراكز الطبية كان كثيرا كثيرا " مثل أيام حرب الكيبور التي سببت في سوريا آلافا من القتلي والجرحي ويختم الدبلوماسي حديثه قائلا : " يمكن القول أن ماجري في الاسبوع الماضي في حماة هو "فرصوليا أخري" أي مثلما حدث لفرصوليا اثناء الحرب العالمية الثانية ..... إنه فعلا , موت مدينة"

مجلة ال v. s.d الفرنسية (الفيزد ) عدد مايس 1982

**"" أهوال حماة ""**

إن القصة الحقيقة لماجدري في شهر شباط في مدينه حماة الواقعة علي بعد 120 ميلا شمال دمشق العاصمة لم تعرف بعد وربما لن تعرف أبدا , لقد مر شهران قبل أن تسمح الحكومة السورية للصحفيين بزيارة خرائب المدينة التي استرمت تحت قصف الدبابات والمدفعية والطيران ثلاثة اسابيع كاملة , ونتيجة لذلك فإن قسما كبيرا من المدينة القديمة القائمة في وسط البلد قد محي تماما وسوي مؤرخا بواسطة الجرافات.

حماة مدينة تعد حوالي 200000 نسمة وقد كانت دائما مركز معارضه وطنية للحكومات السورية المتعاقبة , منذ سنه تقريبا أدخلت مجموعات اسلامية معارضة سرا كميات من السلاح الي حماة وذلك بهدف التحضير للإنتفاضة في بداية شهر شباط – وطبقا لإحدي الروايات - بدأت المعركة عندما تم اكتشاف مجموعه صغيره من المسلحين في المدينة القديمة وأحاطت بهم القوات الحكومية.

بسرعه ردت المعارضة الوطنية باطلاق نداء من أجل انتفاضة شاملة . وهكذا وجدت القوات الحكومية نفسها مضطرة للانسحاب من المدينة القديمة بعد أن تكبدت خسائر فادحة في حرب شوارع ضيقة وعبر أزقة غير ساكلة . بعد ذلك أخذت هذه القوات مواقعها وبدأت تقصف المدينة من الخارج وخاصة الجزء الواقع تحت سيطرة المقاومة الوطنية في نفس الوقت الذي كانت تبحث فيه عنهم في الاماكن الأخري من المدينة وتدمر ابنية عديدة متباعدة.

إن عدد القتلي يرتفع الي اكثر من 30000 شخص (ربما في ذلك طبعا خسائر الجيش) تقديرات الإخوان المسلمين تقول ب 9000 فقط ولكن ذلك رقم رسمي معطي من قبل المستشفيات ولا يأخذ بعين الاعتبار الأناس الذين دفنوا دون أن يدخلوا المستشفي . ولم يوفر القصف لا المساجد ولا الكنائس (في حماة حوالي 8000 مسيحي مع طوائف مختلفة ومنذ قرون وهم يعيشون بسلام كامل وتآخ حقيقي مع أكثرية الشعب السنية والمسلمة).

إن الوحشية التي تم بها قمع انتفاضة حماة يجب أن تعزي ليس للرعب الذي اصاب الحكومة ولرغبتها في جعل حماة درسا لمن يفكر في انتفاضات أخري متملة . وإنما لكون القوات العسكرية التي نزلت المدينة مؤلفة فقد من الأقلية العلوية . إن العلويين الذين يسيطرون داخل حكومة الرئيس اسد كانوا دوما يشعرون بأنهم يضطهدون من الأكثرية السنية في سوريا . إن هذا الشعور سوف يولد في المستقبل ثارات متبادلة طويل قادم .

مجلة الايكونومست عد 15 – 21 ايار 1982

***تحقيق خاص***

***"" سوريا :000ر10 (عشرة آلاف) قتيل في حماة""***

"شارك بوبت" صحفي فرنسي محرر في صحيفة ليبراسيون الفرنسية استطاع أن يدخل الي قلب مدينة حماة اثناء الأحداث .

إنه الصحفي الوحيد من بين كل الصحفيين العرب والأجانب الذي تمكن من الدخول الي هذه المدينة وبحيلة ذكية.

كان في دمشق ... وحينما سمع بالأحداث استقل الباص باتجاه حلب . وفي حمص و أثناء الاستراحة القصيرة اختفي وترك الباص يتابع سيره ثم بحث عن تكسي لكي تنقله الي مدخل حماة أو ضواحيها بحجة أنه سائح يبحث عن الاثار.

قضي في المدينة وقتا لا باس به ثم سلم نفسه للسلطات السورية تمويها ... وبعدها عاد الي فرنسا نشر تحقيقا مطولا يعتبر أخطر ما كتب في الصحافة العالمية عن هذه المذبحة.

إنه يقدم لنا شهادة حية ثمينة وقيمتها مزدوجه الطابع لأن صاحبها محايد في صراع وموضوعي في الحكم ولأنه ثانيا لم ينقل اخبار سمعها عن روايات وصلته بالتواتر وإنما يحكي لنا هنا ماشاهده بنفسه وآراه من مآسي وأهوال.

لا يتسع المقام هنا لنشر كل "الريبورتاج" فهو طويل للغاية سكنتفي فقط بترجمة أهم فقراته فلنترك له الكلام.

الساعة السابعه صباحا ... تبدو حماة مدينة غريبة , حركة عمران كل شيء في طور الإعمار أو كان كذلك وفجأة توقف كل شيء . وبحاذاه البيوت التقليدية القديمة , كانت الأبنية الحديثة تبدو كأنها حيوانات ضخمة جريحة واقفة علي ظهرها . الطوابق الأرضية ظاهرة والأعمدة التي تستخدم عادة لحمل الطوابق الأخري كانت عارية ومتجهة نحو السماء بشكل مستقيم وعلي قمتها قضبان حديدية ملتوية وصدئة. ( .. ) إنني امشي الآن وسط بيوت متهدمة وأشجار مكسرة وأعمدة كلوية أو منزوعة من مكانها هناك القليل من السكان . ومثلهم فإنني أتنقل بحذر أثناء المسير . إنه هنا حدث القتال وما يزال مستمرا من صباح هذا اليوم من شهر شباط . أنها ليست الحرب ولكن بالأحري نهاية معركة كانت علي ما يبدو رهيبة.

نتنقل من بيت الي بيت ومن فوقنا تمر طائرة هليوكبتر . وأمامنا عائلة بأكملها تبكي . جثث تجر من ارجلها أو محمولة علي الاكتاف. أجساد تتفسخ وتنبعث منها رائحة قاتلة , وأطفال تسيل منهم الدماء وهم يركضون لإجتياز الشارع . امراة ترفض أن تفتح لنا منزلها . إنها ليست زيارة متفق عليها . إنني غير مرغوب في مثل هذه الساعات ونهيم علي وجوهنا أنا ومرافقي – أحد أبنا المدينة الذين تطوعوا بهذا العمل ولكن كنا محتاجين لأن نبقي ضمن.... التي ما تزال في ايدي الثوار التي تضيق رقعتها شئيا فشيئا . وأخيرا تستجيب المرأة لتوسلات مرافقي وتفتح لنا . انها تخبيء زوجها هاهو هذا أمامنا مسجي علي الأرض . دونما راس . ميتا منذ 5 شباط !!! وهكذا فإن كثيرا من الناس يخبئون جرحاهم خشية أن تجهز عليهم القوات الحكومية . أما الأموات فإن اهاليهم يدفنونهم بسرعه إذا أمكن فيما اصبح يطلق عليه اليوم مقبرة الشهداء في الزاوية الكيلانية . ( التي تم نسفها كليا فيما بعد).

بضع طلقات نارية صوب الجنوب تتبعها رشقات قوية . وخلال عشر دقائق كانت القذائف تتساقط كالمطر اينما كان. وحيثما تسقط تسمع صرخات الرعب ونداءات التوسل الي الله ...... علي بضعة امتار منا .. شاهدنا رجلا يتمزق تماما ويسقط فوق جدار كما لو انه هيكل عظمي ولم أصدق عيني ولكن عندما ظهرت الطائرات من جديد فوقنا دفعني مرافقي لتحت منزل صارخا " هام يعودون " .

في الطريق يصادفنا رجل يقدمه مرافق لي إنه طبيب .. وبكل سرعة يناولني الطبيب هذا بضعه اوراق ويكتب اسماء ضحايا : "كم قتيلا" سالته ... أجاب : لا أعرف ليس اقل من 000ر8 أو 000ر10 لقد رأينا ضحايا في كل مكان . امسك. (حتي يعرف العالم كله الحقيقة سجل : " مصطفي شاميه . طارق عبد النور . أديب السبع . أحمد الشلبي" وباشارة منه أفهمه أنه لا فائدة من الاستمرار لأنني لا استطيع أن أسجلهم كلهم ولكنه يستمر وبكل عصبية ويطلب مني بطريقة الآمر أن اسجل : " ابراهيم الطرقجي . فؤاد جودت . عسان جلوسي دهميش .

(أترك حماة ) بمزيج من الرعب والفزع ... الفزع حين أتذكر أنه ولا مرة واحدة خلال هذه الايام والليالي التي قضيتها هناك سمعت صوت المؤذن يدعو المؤمنين الي الصلاة . كما لو أن المآذن نفسها قد انكمشت علي نفسها تلقائيا.

شارك بوبت : ليبراسيون الاثنين آذار مارس 1982

**المجزرة الكبري**

اللآن ... نترك الكلام للذين كانوا هناك في قلب

الحجيم يرووا لنا ماشاهدوه وما سمعوه ... وكم

هو رهيب!

شباط .. عام اثنين وثمانين..

الشتاء الشاحب يغلف وجه المدينة بلونه الرمادي . ونهر العاصي علي غير عادته في تلك المواسم في الجريان . سيكون بعد قليل الشاهد الأكبر علي الجريمة حيث تلونت ضفافة بالدم , وعانقت مياهه الشهداء .. وسقط التاريخ صريعا علي جنابه .. ولم تجد الحجارة القديمة المتهاوية ( من الكيلانية والمتحف واطراف الحي القديم) سوي مياه النهر لاصديق تغوص فيها الي الأبد .

لكن النهر بقي صديق المدينة ورفيق عمرها – في تفردها أما الموت – توقفت النواعير عن الدوران واستحال لونها الأخضر الي ما يشبه اصفرار الموت . لقد سكت العاصي حزنا علي حماه.

شباط الأسود أرخي سدوله يوم الثلاثاء في الثاني منه ....

ومنذ الآن سيكون لهذا اليوم وقع خاص فسورية الوطن ومنذ ذلك التاريه دخلت المجهول واصبح مستقلبها علي كف الشيطان.

وإذا لم تقطع اليد الآثمة فإن ماسيأتي سيكون اشد وبالا مما حدث. التفاصيل المرعبة للمجزرة ستكون عاجزة عن نقلها وتصويرها.

لكننا سنترك للأحداث التي عشناها عن قرب وكنا شهودها منذ اللحظات الأولي أن تقول جزءا من الحقيقة .

وستكون رحلتنا في دهاليز الجريمة والموت يوما بيوم وحتي آخر شباط .. نعرج علي المناطق والأحياء التي شهدت شيئا من فصول المجزرة.

-----------------------------------------------------------------------------------------

**البداية الثلاثاء الثاني من شباط:**

-----------------------------------------------------------------------------------------

سرايا الدفاع ( الجيش النظامي الطائفي ) المدرب علي علمات الاقتحام والقمع داخل المدن فقط , والمجتمع بامتيازات مادية هائلة يعود الي المدينة مساء ذلك اليوم وكان قد انسحب منها الي الاطراف – كما ادعي – قبل ثمان واربعين ساعة وكانت عودته بحجة اقتحام احد المعاقل الرئيسية للمعارضة.

وفعلا ضجت المدينة باصوات الرصاص والمدافع والقاذفات بدءا من الساعه التاسعه ليلا .. وشاع الخبر سريعا.

وفعلا دارت معركة ضارية بين الطرفين وسقط عدد كبير من القتلي والجرحي . وفي صفوف الجنود .. وقيل بعد ذلك ان السلطة استطاعت قتل واعتقال بعض رجال المعارضة بينما فر البعض الآخر .

**تلك الليلة السوداء كانت البداية الفعليه للمجزرة التي استمرت بعد ذلك شهرا كاملا وقبل الدخول في صور الجريمة .. نسوق الملاحظات التالية :**

1. السطلة الحاكمة عمدت فورا ومنذ هذه الليله الي اغلاق كل مخارج المدينة .. وعزلت حماة عزلا كليا عن العالم الخارجي .. ورافق ذلك انقطاع الكهرباء ومعظم اجهزة الهاتف .. وغرقت المدينة منذ ليلة الثلاثاء في ظلام طويل.
2. المعارضة الوطنية التي صدت لجنود السطلة الحاكمة – وعلي لسان اجهزة الأعلام الرسمي لم يتجاوز عددها داخل المدينة اكثر من خمسمائة من الرجال المسلحين. وهذا العدد ليس كبيرا بالقياس الي مدينة تعدادها اكثر من مائتي من الألوف وأمام عشرات الالوف من الجنود المدججين بكل انواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة .. بدء من البندقية حتي الدبابات وراجمات الصواريخ والطائرات.
3. استطاعت بعض العناصر المعارضة الوصول الي مخازن السلاح التابعه للسلطة الحاكمة واستولت علي الأسلحة من هناك .. وكانت نوعيه السلام بسيطة بالقياس الي أسلحة السلطة: لا تتعدي البندقية والرشاش والقنابل.
4. دعت عناصر المعارضة بعض الشباب للجهاد وقد استجاب عدد منهم . دفعتهم ردات الفعل الحاقد علي السلطة .. التي كانت تخضع المدينة الي عملية اذلال دائم طيلة سنوات ثلاث كما رأينا.
5. القسم الأعظم الذي يشكل الهيلك السكاني الفعلي للمدينة بقي سجين البيوت ولم يستطع حتي النظر عبر النوافذ ... وهذا القسم هو الذي تعرض فيما بعد لكل عمليات الأستباحة والذبح الجماعي.
6. كان من الواضح أن السلطة الحاكمة كانت تستطيع تطويق وحصر علميات المعارضه منذ الايام الأولي لكنها بالعكس اخذت تغذي الأحداث نحو مزيد من التدهور . وحين يتوقف اطلاق النار توحي الي عناصر الجيش والمخابرات بمواصلة الأطلاق .. حتي لا يهدأ الوضع وحتي تدعي وجود المقاتلين مما يسمح لها بمتابعه تحقيق مهمتها الرئيسية التي جاءت من أجلها .. وهي ابادة حماة معقل النضال السوري .. ويرتاح المجرمون من هذا الهاجس الوطني الذي كان يقض مضاجعهم ويعرقل عليهم تحقيق مخططاتهم الآنية والمستقبلية.
7. كل عمليات الآبادة التي تمت بحق المدينة من اعدام الآلاف الي هدم الأحياء الي تدمير الجوامع والكنائس الي نبش المقابر .. كل ذلك تم فعليا بعد أن سيطر الجيش (جيش السلطة الحاكمة) علي المدينة كليا ... واصبحت بكل شبر فيها تحت رحمته وفي قبضته الآثمة.

---------------------------------------------------------------------------------

**الأربعاء الثالث من شباط.**

المدينة تحت الحصار الكامل مكممة مطوقة الوف الناس داخل البيوت المستسلمة الآمنة وقد اطبق عليه الجحيم رجالا ونساءا واطفالا.

السلطة الحاكمة بجيوشها الجرارة تدخل من كل اطراف المدينة .. لقد حانت الساعه .. وهاهي جهنم تبدأ بابتلاع لمدينة الشهيرة.

منذ صباح هذا اليوم استطاعت كتائب الجيش التابع للسطلة والقابع علي أطراف المدينة منذ سنوات ان تضع يدها علي كل شارع " وكل زقاق" وكل بيت .. ماخلا بعض الثغرات المحددة التي تمركز فيها مقاتلون من المعارضة .. كمنطقة القلعة أو بعض مناطق الحي القديم (الحاضر) .

لقد استطعنا نحن المحاصرين – ومن شقوق النوافذ المغلقة ان نري ارتال الجيش الزاحف والراجل والراكب .. عشرات الألوف من الجند – وبأشكال متنوعة من اللباس.

* اللواء 47 مدرع .
* الفرقة الثالثة التابعة للجيش النظامي.
* آلاف من جنود سرايا الدفاع بلباسهم وسلاحهم المميز.
* آلاف من الوحدات الخاصة.
* مجموعات من سرايا الصراع.
* قوات سريعة التحرك تابعة لسريا الدفاع برئاسة علي ديب.

كل هذه الفرق وكل هذا العدد الوفير من الجيش .. أعدته السلطة الحاكمة لأقتحام المدينة ولملاحقة عدد محدود من المعارضة حسب زعمهم.

كان من الواضح في تلك اللحظات .. أن هذا الجيش قد احتل البلد ليسدد اليها الضربة القاضية . عند هذا قد يكون مفيدا أن نورد الحادثة الواقعية التالية والتي جاءت علي لسان مسؤول حكومي كبير .. هو عضو في الجبهة التابعة للسلطة الحاكمة .... يقول هذا المسؤول:

0اثناء احداث حماه زارني احد الاصدقاء المقربين من السلطة وكان قلقا من الحد اللامعقول الذي وصلت اليه السلطة في قمع المدينة لما سيترتب علي ذلك من نتائج مستقبلية خطيرة. وكان قد اجتمع مع بعض ظباط سرايا الدفاع وهؤلاء حدثوه عن حضورهم اجتماعات قيادية في مدينة حماه وقبل عدة ايام من المذبحة وبالتحديد ( الثامن والعشرين من كانون الثاني) عرض عليهم فيها الظابط المسؤول خرائط ميدانية مسبقة معدة لاقتحام المدينة من كافة جبهاتها وشوارعها.

وقد سأل بعض الظباط اثناء الاجتماع .. هل هي معركة مع اهالي المدينة ام مع ما بقي من المعارضة .. فأجاب الظابط المسؤول حرفيا .... ويدعي (علي ديب) قائد اللواء المتحرك التابع للسرايا والمتواجد داخل المدينة : **لقد اعطانا الفريق حافظ الاسد اوامر صريحة بضرب كامل المدينة – الأهالي قبل المقاتلين – وعلينا تنفيذ هذه الأوامر والغايه قتل وتهجير اكبر عدد ممكن من اهلها** . يتابع الظابط المذكور .

وعند هذا الحد ايقنت ان المطلوب تدمير المدينة.

هذه الواقعة صحيحية .. وقدد ورد احاديث كثيرة بعضها كان يرد علي السنة الجنود انفسهم .. لقد سمعناهم يقولون بوضوح وبشكل صريح معلن :

**طلب الينا الظابط ان نقتل كل الأهالي دون تميز . كانوا يحددون لنا الشوارع ويطلبون منا الدخول الي كل بيت فيها, تاركين لنا حريه التصرف من قتل ونهب واعتداء ومسؤولين عنه . وكل ما نحصل عليه يصبح ملكا انا .. لقد سرق رفاقنا الكثير من الذهب . اما الظباط الكبار فلم يتركوا شيئا نقلوا مسروقاتهم علي الشاحنات ... ولم نصدق ان حماة غنيه علي هذا النحو!!!!!**

وهكذا دون مواربة او خجل ودون حاجة لأخفاء العورات كان هدف السطلة واضحا.........

هذا النظام يريد ان تصبح حماه مدينة اخري لذلك غير معالمها وهدم شوارعها وأسواقها .. ومسح تاريخها .. وقضي علي المتحف والبيوت والأثرية فيها , قوض جوامعها وكنائسها حتي المقابر درسها فمات الأموات مرتين , حتي النواعير لم تسلم من حقده.

لو تسني له لغيّر اسم المدينة دون شك .. ولبدل سكانها بآخرين . وكنا نقول : هل كان يغير مجري نهر العاص لو استطاع؟!

اعتقادنا بعد ما رأيناه , أنه كان يفعل.

هذا اليوم الثالث من شباط سيكون من أيام الحزن السوري.. ماالذي حصل فيه ؟ كانت مجموعات من مقاتلي المعارضة قد استطاعت اثناء الحصار التسلل ومن ثم الأستيلاء علي بعض مراكز تجمع السلاح التابعه للسطلة .. توزعت الأسلحة مع مجموعات من الشباب التحقت بها كرد فعل عنيف علي القمع السلطوي.

هؤءلاء المقاتلون بدأوا هجومهم منذ منتصف الليل علي مدرسة الأعداد الحزبي وتطور الأمر في الصباح حين استطاع هؤلاء التمركز حول نقطة القلعة ثم الصعود اليها بعد القضاء علي كتبيبة السرايا المتواجدة فوقها .. وتحولت القلعة طوال اليوم الي نقطة مركزية لعمل المقاومة المسلحة ضد المهاجمين المتوجيشين . وقد قضي بالفعل علي انزالات عديدة .. وكانت خسائر سرايا الدفاع كبيرة ..

الي جانب القلعة , فان منطقة الحي القديم (الحاضر) قد شهدت ايضا هدمات حادة من قبل المسلحين .... وهذه وتلك كانت المناطق الوحيده المشتعلة في المدينة.

وفي المساء .. استطاعت السلطة احتلال القلعة من جديد والسيطرة عليها.

اما حي الحاضر فبقي بشوارعه وأزقته الضيقة المعقل الوحيد لبعض جيوب المقاومة الوطنية المتبقية ... ولم تفكر السلطة طويلا ... لقد حانت الفرصة التي انتظرتها .. فحملت راجمات الصواريخ الي أعالي الأبنية المتواجدة في ساحة العاصي مقابل سراي الحكومة بحيث تصبح منطقة الحاضر مكشوفة تماما. ومن هناك بدأت عملية دك المدينة.

كانت الصواريخ تنقض بمعدل عشرة أو اكثر من الدقيقة الواحدة ومع كل صاروخ تخر البيوت القديمة علي سكانها من الرجال والأطفال والنساء كان (الحاضر) بأكمله يشتعل ببيوته وأزقته وسكانه الذين يتجاوز تعدادهم المائة الف مواطن . من استطاع منهم الهرب باتجاه القري الشمالية فقد اسرع تاركا وراءه ركام البيت وجثث الأعزاء ومن لم يستطع انهار البيت عليه أو أحترق وهو فيه .

وحتي هذه اللحظة .. لا يستطيع أحد أن يعطي احصاء دقيقا لخسائر هذه المنطقة القديمة فهناك عائلات ابيدت باكملها وذهبت تحت الركام أو أحترقت.

وهناك بيوت اختلط علي بعضها بأكوام هائلة من التراب والأحجار ... بحيث بات يصعب حتي تقدير عدد المنازل المتهدمة , فضلا عن جرفها نهائيا بعد ذلك وتحويلها الي ساحات ترابيه هائلة.

باختصار كان هذا الحي القديم منذ يوم الاربعاء سحابة كثيفة من الغبار الأسود المختلط بتراب الحجارة المنهارة ودخان الحرائق المتصاعدة من معظم الأمكنة ,.. كان (الحاضر) يحترق بأكمله وينهار بأكمله ويموت بأكمله.

لذلك مهما كذبت السلطة في تضخيم ما يمكن وجوده من اشكال المقاومة العنيفة داخل الحي القديم , لتبرر ضربها للمدينة , فإنه يبقي فضيحة معلنة .. لأن الحي القديم كان يشتعل من كل جوانبه .. بصواريخ السلطة منذ اليوم الاول , ولا مجال من الناحية المنطقية لحدوث مقاومة مؤثرة علي النحو الذي صوره النظام.

اذا تركنا (الحاضر) المحترق وتلقتنا نحو الجانب الآخر من النهر نجد أمامنا المنطقة الأخري وهي ( منطقة السوق) عصب المدينة التجاري ... وحيث تقع أهم وأكبر الأسواق .

في هذا الجانب من حماة كان القصف وطأة تناول بصورة رئيسية الأحياء المحيطة بالقلعة .. مع قذائف صاروخية عشوائية تنهال من كل المرتفعات موتقع دون تحديد علي اي حي او بيت.

هذا اليوم لم تنج معظم البيوت في الشوارع الرئيسية من زيارات صاروخية كانت تلتهم سقفا أو حائطا بلمح البصر.

لكن منطقة السوق ستكون بعد يومين مسرحا لآخر منجزات حضارة القمع (والعنف الثوري) في فن الأبادة والنهب والأعتداء.

في هذا اليوم ايضا بدأنا نلاحظ شيئا هاما ... لقد عمدت السلطة الي اسلوب الانتشار الكثيف فتركت الجنود من سرايا ووحدات وجيش النظام يملأون الشوارع والأزقة حيث استتب الأمر كاملا في منطقة السوق بعد سقوط القلعة.

كان الجنود يقرعون الأبواب ويطلبون لطعام .. وفعلا قدمت لهم كثير من البيوت الطعام والشراب والأغطية.... احد الجنود كشف عن الحقيقة حين قال لاحدي النسوة ... (لقد تركنا الظباط دون طعام أو شراب) قالوا لنا ( المدينة مفتوحة وهي لكم بكل ما فيها ) معظم الجنود لم يتعبوا طويلا .. كانت مخازن الأسواق ملأي بكل احيتاجاتهم .. وفعلا ..

فتحت من مساء ذلك اليوم مخازن المدينة بكاملها وبدا النهب الفعلي المنظم والذي سيستمر طوال اليوم الثاني ايضا .. قبل الأنتقال الي عمليات الأبادة , وحتي يمارس الجنود عملهم براحة ونشاط وبعد أن يكونوا قد حصلوا علي غنائم لا تصدق.

جنود كثر .. ممن تواجدوا داخل الأحياء وعلي مسافة من الأسواق كانوا ضيوفا علي كل البيوت...

نعم .. حماة المدينة الصابرة قدمت يوم الأربعاء بل ك يوم تقريبا الطعام والشراب والشاي والأغطية للجنود الذين قتلوها . وفي التفصيلات التي سنذكرها فيما بعد مايشير الي ذلك بالأسماء.

الخميس : الرابع من شباط

------------------------------------------------------------------------------------

لايزال القصف المجنون الذي بدأ منذ منتصف الليل ومايرافقه من موت عبثي محتم ... هو سيد الموقف.

منطقة السوق الآهلة بالسكان بل المكتظة بهم ستكون بعد قليل مسرحا لأكبر مشروع من مشاريع حمامات الدم عرفه التاريخ.

لكن هذا اليوم .. سيكون بالنسبة لجنود السرايا والوحدات يوم الغنية الكبري لقد فتحوا منذ البارحة الأسواق واليوم يطبقون عليها كليا . فلا تسلم دكان واحدة . وبدأت علملية النهب المنظم.

تركزت السرقات اولا علي الأموال المودعة داخل المخازن ... في الصناديق الحديدية او في حفر مخفية داخل الجدارن يستطيع الجنود الاهتداء اليها جيدا .. بأيديهم وأنوفهم المدربة , حتي دوائر الدولة فقد تم فتحها بكاملها .. وسرقت كل الأموال المدعة داخلها ... ( بعض هذه الأموال كانت رواتب الموظفين البسطاء عن شهر شباط التي لم يتم قبضها كلها بعد)

وحتي سراي الحكومة لم يسلم من التخريب والتدمير والسرقات... لقد حوله الدجنود عن عمد الي مستودع للقاذورات والنفايات....

المحاكم داخل السراي .. مع دوايئر السجلات المدنية والعقارية تحولت هي الأخري بفضل السواعد (الحضارية الجديدة) الي صناديق قمامة فيها الآف الأوراق الممزقة والمرمية داخل الغرف وفي الممرات وفي الحديقة الخلفية ... كان الجنود وهم يبحثون عن الصناديق الحيدية والأموال المودعة داخلها يمزقون كل شيء ولا يبقون علي شيء.

وقد باتت مدينة حماة اليوم بدون وثائق ومستندات تظبط الملكية أو العلاقات بين السكان.

وفعلا استطاع الجنود والظباط بعد أن وضعوا ايديهم علي الأموال المودعة في الأسواق ودوائر الدولة ان يحصلوا علي غنائم حقيقة توزعها فيما بينهم.

يروي شهود العيان .. أن الجنود حين سرقوا سوق الخضار .. أخذوا الأوراق النقدية من فئة المائة ليرة أو الخمسين .. وكانت بكميات كبيرة ,, أما الأوراق النقدية ذات الليرة الواحدة فكانوا يقذفونها علي الأرض ويدوسوها بأحذيتهم ... لأن جيوبهم لن تعد تتسع.

ويقول شهود العيان من مدينة حمص .. أن الجنود كانوا يقاضون المائة وعشرين ورقة من فئة الليرة الواحدة بورقة نقدية واحدة من فئة المائة , ويجبرون التجار في حمص علي هذه المقايضة حتي يسهل عليهم حمل النقود الي بيوتهم أو قراهم.

وهكذا فإن يوم الخميس كان يوم النهب .. وكان جيش السلطة الطائفية مشغولا بحصر الغنائم وتوزيعها.

لكن الأمر لم ينته في الأسواق عند هذا الحد .. لابد بعد من تغطية السرقات .. ولتحقيق هذا لاغرض .. امر الظباط المكلفون جميع الجنود بحرق الحوانيت بالقنابل الحارقة ... وفعلا وخلال ساعات تحولت جميع الاسواق الي فوهات سوداء.

أما البضائع فكانت مرميه علي الأرصفة يدوسها الجنود بأرجلهم يحملون منها ما أستطاعوا ويتركون الباقي لجولات قادمة.

يقول شهود العيان : (كان الجنود هذا اليوم مشغولين جدا .. وكانت البضائع تتكدس في الشوارع ثم تأتي السيارت العسكرية فتحمل ما استطاعت منها اما ما تبقي فيحمل غالبا الي عيادات الأطباء الفارغة أو الي الدوائر الحكومية المستباحة لتتحول هذه وتلك الي مخازن لتجميع المسروقات).

**الجمعه : الخامس من شباط**

يلاحظ سكان المدينة ان اعدادا اضافية من الجنود أخذت تفد علي المدينة من فجر هذا اليوم . وكان الدبابات تهدر فوق الشوارع المزفتة ترافقها اصوات الطائرات التي لم ينقطع صعودها أو هبوطها ... ومظهر الجيش علي هذه الكثافة اخذ يطرح أمامنا ألف سؤال عن طبيعة مهمته القادمة ... كان معظم الجنود يرتدون الدروع الواقية وبعض الجنود ارتدوا أقنعه بيضاء علي ودوههم.

كما لفت الأنظار كتائب مميزة تعتلي سيارت مصفحة سريعة وصغيرة الحجم وكانت تضع هي الأخري الدورع والأقنعه البيضاء .... وعرفنا فيما بعد .. أن هذه تسمي (كتائب الشطب) وانها تتلقي الأوامر من القيادة العليا لسريا الدفاع.

وهكذا تدخل المدينة حمام الدم .. وفي تلك اللحظات الرهيبة من صباح هذا اليوم .. كانت السكين فوق عنق الجميع ودون استثناء.

ظهر الجمعة : ينهمر وابل الصواريخ بجنون علي منطقة السوق – إنه الأنذار – ببدء عمليات الذبح . أدي اطلاق الصواريخ الي تهديم عدد من البيوت مما دفع بعض الناس الي الهرب والتجمع في بعض الأقبية القديمة.

تجمعات الأهالي المذعورين سهلت علي كتائب الشطب المهمة .. فكانوا يدخلون الأقبية ويعدمون الجميع علي الفور.

في هذا اليوم بدأت عمليات الاعدام الجماعي بصورة فعلية وقبل ان تدخل في التفاصيل الرهيبة نقف عند ملاحظة هامة جدا.

يوم الجمعة الخامس من شباط . بدأ النظام الحاكم يستبيح الارواح ويحصدها بلا هوادة.. وفي هذا اليوم بالذات كانت المدينة في قبضة النظام بصورة كاملة كان الجنود قد سطروا علي الشوارع والأزقة والبيوت ونهبوا الاسواق في اليوم السابق... وكان من المفترض ان يرفع الحصار ويسحب الجيش – علي الاقل – من منطقة السوق .. وتتوجه الجهود بعد ذلك للسيطرة الكلية علي منطقة الحاضر القديمة . في هذا اليوم تصور البسطاء من اهل المدينة ان الحياة الطبيعية ستعود لان الدجيش قد سيطر عليا , ولا حاجة لمزيد من الرصاص والصواريخ .. فقد تهدم ما تهدم من المدينة .. ويكفي السلطة ذلك.

لكن الذي حدث .. رهيب وعجيب ومخيف.

نقلا عن ظباط السرايا الذين تسربت علي السنتهم بعض الروايات .. عرفنا ان الاوامر قد صدرت عن رئيس الدولة بمباشرة اعمال الاعدامات بعد ان استتب الامر للجيش بصورة كاملة . وبهذه الغاية فقد قسمت المدينة الي اقسام ووضعت تحت امرة كتائب الشطب وطلب منها ان تنفذ بلك الاهالي الاعدام الفوري مع استخدام كل الوسائل التي من شأنها ان تشيع الحد الاقصي من الارهاب . واعطاء الضوء الاخضر للمارسة كل الانتهاكات اثناء عمليات الاعدام.. من نهب واعتداءات علي النساء مع حرق البيت وهدمه كليا اذا اقتضي الامر.

وهكذا استبيحت المدينة وهي مستسلمة كليا للجيش ودون ان يكون في شوراعها مقاتل واحد. ماخلا بعض اشكال المقاومة الفردية المحدودة في منطقة الحاضر... وهذه كان يمكن حصرها وتطويقها بسهولة .. مما يدعم ما قلناه سابقا نحوتصميم السلطلة علي اغتيال المدينة وذبحها من الوريد الي الوريد.

في هذا اليوم ارتكبت المجازر في الاحياء التالية : حي الدباغة, شارع ابي الفداء . ونترك للتفاصيل ان تتحدث.

**مجزرة حي الدباغة :**

هذا الحي تسكنه اعداد وفيرة من الاسر الميسورة والمتعملة ويقع هذا الحي في قلب المدينة تماما ويتفرع من هذا الحي شوارع جانبية .. كانت باكملها ذلك اليوم هدفا للموت الجماعي . تطل معظم البيوت علي السوق التجاري الرئيسي...هذا السوق الذي تم نهبه في اليوم السابق.

يروي الاهالي مشاهد الرعب المروعة .. يقولن .. انتشر الجنود الغاضبون في الشوارع كالجراد .. واخرجونا نحن النساء من البيوت وجموعونا في الشوارع وقالوا سنحرقكم جميعا ونحرق بيوتكم .. وبالفعل .. صبوا المازوت أمامنا علي ابواب الدكاكين وأخذوا يشعلون النار من حولنا .. ونحن نصيح ونتوسل .. وطلبوا منا بعد ذلك الدخول الي البيوت .. مرة اخري وكانوا قبل ذلك قد جمعوا كل الرجال .. رأيناهم .. يساقون أمامنا كالأغنام .. كان معظمهم بثياب النوم وبعضهم لم يرتد حذاءه .. كانوا يمشون مع الجند صامتين .. وبعد دخولنا الي البيوت بدقائق .. انهمر الرصال يجنون واشتعل الجحيم في الحي كله .. عرفنا جيمعا .. ان كل الرجال قد أستشهدوا) وحتي اليوم سيظل بناء الأوقاف الرابض في أول هذه الحي شاهدا علي الجريمة .. ففي داخله جثث الشهداء وكان عددهم يناهز المائة.

ولم يكتفي الجنود بذلك بل عمدوا الي بعض الحوانيت الفارغة وادخلوا الرجال اليها وهناك صبوا عليهم الرصاص .. وحين اطمأنوا الي مصرعهم .. أحرقوهم .. وظلت الجث المتفحمة داخل الحوانيت حتي نهايه الاحداث...

ومن مجازر هذا الحي نسوق قصة واحدة : عائلة مفتاح تسكن منتصف هذا السوق واصحابها منتجار الاخذية المعروفيين في المدينة .. دخل عليهم الجنود فأعدموا كل الرجال .. استطاع بعض الاهالي ادخال الجثث الي المنزل ؟؟ لكن الجنود حين عمدوا الي حرق السوق والجثث داخل الحوانيت فقد امتدت النار الي منزل هذه العائلة المنكوبة ... فاضطر من بقي علي قيد الحياة الي الهرب.. تاركين جثث الشهداء تتهاوي وتحترق في لهيب النار.

وحتي يكون الحريق اشد شمولا في هذا لاحي فقد عمد الجنود الي سكب كميات كبره من المازوت علي اثاثات البيوت من الداخل.. وهكذا تحولت منطقة الدباغة بفعل الموت والدمار والحريق الي جدار سوداء مهدمة.

**مجزرة شارع ابي الفداء**

أما في شارع ابي الفداء الموزاي لحي الدباغة تماما .. فقد تمت المجزرة بصورة اكثر بشاعه وهجمية.

كان الجنود ينتقلون بنظام من بيت الي بيت وبالتتابع .. وعلي الجانبين علي طول الشارع الجميل الممتد من ساحة العاصي حتي القلعة , ويقومون بعملية الاعدام داخل البيوت ذاتها .. رجاء ونساء وأطفالا .. ويخلفون البيت وراءهم مليئا بالجثث منهوبا في معظك الأحوال .

من مآثر ضباط السرايا في هذه الحي نروي الوقائع التالية:

يقول شاهد عيان استطاع أن ينجو من المذبحة بأعجوبة حين أختبا فلم يره الجنود المنهمون في عملهم : قتلوا ابنتي وزوجتي امام عيني .. وبعد الأنتهاء استدار أحد الجند الي الجثتين فرأي الذهب فعاد وسحبه من الأيدي والاصابع .. لكن الأقراط استعصت عليه , قطع بكل بساطة الأذن وحملها في جيبه مع الاقراط . كان المشهد خرافيا ظللت وقتا طويلا اتخيل انه كابوس وليس حقيقة.

مأثر اخري .. بناء طابقي يسكنه اخوة عديدون من عائلة "الموسي" و دخل عليهم الجنود وقتلوا الجميع.. حتي الطفل الرضيع علي ثدي امه لم ينج من المذبحة احد وتكومت الجثث من الرجال والنساء والأطفال داخل المنزل التعيس.

جريمة اخري تبعث علي الذهول والتساؤل : تجمعت حوالي أربعين امرأة من نسوة الحي مع الاطفال داخل عيادة احد الأطباء . التي تقع في قبو , احدة من الابنية الحديثة في هذا الشارع .. لكن ماسوره المياة انفجرت عليهم .. وفي هذا القبو حدثت المجزرة .. دخل الجنود واخذوا يشتمون ويضربون باعقاب البنادق ثم فتحوا النار علي جميع النسوة مع اطفالهن .. بعض النسوة ظللن في حاله نزيف ساعات طويلة .. قبل ان يسلمن الروح.

من المفارقات الرهيبة . أن طفلا رضيعا نجا من المذبحة ووقع تحت جثة امه .. لكنه ظل يرضع الدم من ثديها طوال يومين قبل ان يعثروا عليه.

من شهيدات هذه المجزرة الشهيدة ميسر سمان .. والشهيدة حياة الأمين والشهيدة زوجة المقدم فيصل دهيمش مع بعض اولاده.

وينتهي يوم الجمعة الأسود والدم يغسل قلب المدينة . والليل يرخي سدوله علي جثث شهداء مظلومين ما كان لهم من ذنب سوي انهم مواطنون في عهد حافظ اسد.

**مجزرة جنوب الملعب:**

سمي الحي بهذا السم لوقوعه فعلا جنوب الملعب البلدي .. والبيوت في هذا المكان يجب ان تكون آمنة .. لوقوعها علي اطراف المدينة وبعدها عن المراكز المشتعلة.. يضاف الي ذلك قربها من المستشفي الوطني .. الذي عسكر جنود السرايا والوحدات حوله منذ اللحظات الأولي بل كانوا ضويفا في معظم الأوقات علي بيون هذا الحي حيث يقدم لهم الاهالي الطعام والشراب..

وكانت المكأفاة يوم السبت .. بعد أيام أربعة من الأحداث...

بدا الجنود عملهم كالمعادة بقرع الابواب واستدعاء الرجال (كل الرجال) بحجة القاء الأسئلة حول بعض القضايا المنية . خرج الأهالي الآمنون . وقد صدقوا أقوال الجنود .. وكان الرصاص هو السؤال الوحيد الذي تلقاه هؤلاء الشهداء.

ويخر الجميع صرعي .. وتتكوم الجثث في الأزقة الحديثة والطرقات المزفتة....

وفي جنوب الملعب لم يبق سوي الأرامل واليتامي . والأحصاءات تقول ان عددهم يتراوح ما بين (1800 – 2000 ) منهم الشهيد النقيب (احمد عزيز) من سلاح الصواريخ لم تشفع له رتبته فقتله جنود السرايا بلباسه العسكري والشهيد القاضي محمد الواهب مع زوجته التي استغاثت فقتلوها علي الفور.

والشهيد مدير السجن المدني في حماة وهو مواطن من مدينة دير الزور .. لم تشفع له ايضا عمله كمقدم في سلك الشرطة.

أما الأسر .. فبعضها كل الرجال . وبعضها الآخر معظمهم .

عائلة الاذقاني (فقدت تسعةعشر شهيدا)

عائلة الريس ( سبعة شهداء)

عائلة قوجة (تسعة شهداء بينهم سبعه أخوة)

وعند هذه العائلة الأخيرة المفجوعة قصة تروي:

يقول الأب الشيخ الفاني , والباقي الوحيد علي قيد الحياة ( لقد اقتادوا اولادي السبعة مع اثنين من الاقرباء , قتلوا الجميع امامي انا ابن السبعين . توسلت الي الجنود أن يقتلوني معهم .. لكنهم لم يفعلوا ... بل ضحكوا وقالوا هكذا افضل .. حتي تموت ببطء ) !!!!

الأب المفجوع هام علي وجهه ذلك اليوم . وقد تركته المذبحة شبه فاقد العقل.

**سوق الشجرة**

هذا الحي يقع داخل منخفض من الأرض ويمتد عبر طريق طويل متعرج آخذ في العلو حتي منطقة المحطة ويتصل من الجانب اآخر بحي المرابط . وفي الوسط يقوم جامع اثري قديم ( لم يبق منه اليوم سوي ساحة ترابية واسعة).

دخل الجنود هذا الحي المكتظ بالسكان حيث تتداخل البيوت القديمة بصورة كثيفة داخل أزقة ضيقة متعرجة .. وجمعوا كل الرجال من معظم البيوت وطلبوا اليهم الوقوف جانبا .. وكانت العملية تتم علي يد كبير من (جنود السرايا واضعي القنعة والدروع) توازعوا كل اطراف الحي وانحائه . بدءا من مدخله وحتي نهايته.

وقف الرجال علي الحائط بحراسة الجنود المدججين .. ودخل عدد آخر من الجنود الي البيوت بحجة التفتيش عن مقاتلين مختبئين.

كان الحي فعلا خاليا من السلاح .. ومع ذلك ادعت اللسطلة ان المقاتلين قد مروا منه .. ووزعوا السلاح علي بعض ساكنيه.

وبعد التفتيش لم يقع الجنود علي شيء لكن حصيلتهم من الذهب كانت وافرة وبعد أن أطمانوا اليها .. اخذ يضربون الرجال العزل باعقاب البنادق ويطلبون من النسوة البقاء علي ابواب المنازل للتفرج علي ما سيحصل .و بعد دقائق .. اعدم الجنود الرجال واحدا بعد الآخر .. سقط معظمهم علي عتبات البيوت .. وظل بعضهم ينزف ساعات قبل ان يسلم الروح .. ودون ان يسمح لواحد من الاهالي بالاقتراب .

آخر هذا لايوم .. غادر الجنود ازقة الحي .. ما خلا بعض الدبابات الرابضة علي مداخله وظلت جثث الشهداء مرمية علي الارض المبللة بالامطار يخرج الاهالي يقرأون الفاتحة علي ارواحهم .. وبعد ايام عشرة حملتهم الجرافات الي الحفر الجماعية ..

يقول شهود العيان .. (في الحي هناك أم قتلوا لها كل اولادها علي عتبة الدار .. وظلت الجثث امام عينيها طوال عشرة يهطل عليها المطر ويصفرها التراب وهي لا تستطيع شيئا سوي البكاء احيانا وقراءة القرآن احيانا اخري. كانت تخرج كل يوم تغطيهم وتعود .. الي ان جاءت الجرافات ونقلتهم مع الجثث الاخري وفي هذا اليوم تستوقفنا حوادث اخري غير المجازر .. جديرة بالرواية .. فقد تسربت الي المواطنين حكايات متعددة عن حوادث حالات اقتتال عنيفة بين الجنود انفسهم .. فقد لاحظ الأهالي .. اثناء المداهمات والتفتيش ان بعض الجند كان يحاول التعبير عن ألمه وضيقه مما يحصل مظهرا عجزه امام الأوامر العسكرية التي تحتم عليه التنفيذ.

وكان بعض الجند ايضا .. قد اقام صلات انسانية مع بعض الأهالي المحاصرين فجلب لهم الطعام أو الحليب للأطفال..

هؤلاء الجند .. وعبر مشاهد الموت والدم .. لم يستطيعوا ( وهم البشر ) ان يتماسكوا نعود الي الواقعة – يقول الجنود انفسهم – ان كتيبة سرايا الدفاع التي تفذت حكم الأعدام في الشهداء من اهالي جنوب الملعب . قد تعرضت في داخلها الي ردات فعل حادة من قبل بعض الجنود التابعين للسرايا بالذات . حيث عمد هؤلاء الي فتح النار علي رفاقهم وحاولوا الوصول الي الظابط المسؤول لاغتياله.

هذه الواقعة حصلت في شارع العلمين وبعد الأنتهاء من مجزرة جنوب الملعب مباشرة لكن الجند المتمردين اعدموا علي الفور وكان عددهم (سبعه).

وقائع اخري يمكن ان نسردها سريعا تؤكد ان الجندي (الأنسان) لا يمكن القضاء عليه كليا .. وبالرغم من كل عمليات غسل الدماغ .. يبقي الحس الوطني في النهاية هو الأقوي ..

في شارع اللي الفداء بالذات وحيث كان القصف قد شمل البيوت والأهالي جميعا .. فإن جنديا استطاع ان ينقذ اسرة كاملة .. حيث ادعي امام الظابط انه لم يجد في البيت الصغير احدا .. بينما الأسره مخبئة في الداخل .. وحين رآها الجندي وكان وحيدا.. طلب بسرعه من أفرادها الهدوء داخل الخزائن.. وعاد ادراجه بسرعه بعد أن اطلق عيارت نارية علي باب المنزل وقنبله حارقة في الزقاق .. وقال للظابط المكلف ( المنزل فارغ لم اجد أحد ).

حكاية اخري ومن شارع ابي الفداء ايضا..

عثر جندي بين جثث القتلي عن ثلاثة من الجرحي وقعوا تحتها .. وكانت جراحهم طفيفة . اقتادهم بسرعة وأدخلهم الي مخزن قريب جانبي واقفل عليهم الباب .. وطلب اليهم الهدؤ الكامل .. وكان مركز وحددته في اشارع بالذات .وهذا الجندي كان يأتي يوميا بالاربطة والطعام والشراب .. حتي نهاية الاحداث وانسحاب الجيش من الشوارع الي اماكن التجمع .. حيث خرج الجرحي الثلاثة وكان الظن انهم في عداد القتلي .. وورد القصة العجيبة .. والثلاثة اليوم احياء يرزقون .

الاحد السابع من شباط

المدينة المحاصرة تتنفس عن صباح جديد .. رائحة الموت والدم والبارود تخيم علي سماء المدينة الاسود .. لا شيء يوحي بان هذا اليوم سيكون اخف من سابقة . كان الجو ثقيلا علي الذين لا يزالون تحت الحصار داخل البيوت .. ورهيبا علي الذين شاهدوا احبتهم يذبحون امام اعينهم دون ان يتسطيعوا حراكا.

كانت المدينة حقا تحتضر والدم والندي يغسل شارع ابي الفداء وشارع الدباغة وحي جنوب الملعب وكل بيوت الحاضر التي تخر علي ساكينها الشهداء .

كانت حماه تسقط رويدا وريدا والحناجر تطعن في كل انحاء جسدها .. لكن الموت الكلي دون جولات جديدة ستكون اليوم في حي الوادي والمحطة.

**مجزرة حي الوادي:**

يقع هذا الحي داخل منخفض من الارض كانت تقوم علي جنباته المغاور اصلا ومنذ عشرات السنين يزدخم هذا الحي باكثر الشرائح الاجتماعية في المدينة فقرا او بؤسا . معظم الساكنين كانوا الي وقت قريب دون عمل ثابت (بائعون متجولون او حمالون علي الظهور او الحمير) .. هؤلاء انتعشت احوالهم المادية قليلا حين قامت في المدينة بعض المصانع .. فانخطر فيها صغار وكبارا .. لانها تعطيهم دخلا شهريا ثابتا برغم شروط العمل السيئة وخاصة في معمل الغزل الذي يعمل فيه العمال الفقراء دون وقاية مما يؤدي الي اصابتهم بالسل بعد زمن .. مع ذلك فإن هؤلاء المعدمين ... استطاعو تأمين حياة مستورة كما يقال .. هذا الحي بسكانه الفقراء كان هدف السلطة (الثورية) صباح الاحد .. والسبب علي لسان السلطة : ان هذا الحي كان من اكثر الاماكن تاييدا للمعارضة المسلحة .. وقد التحق بعض رجاله للقتال .. قد يكون هذا الكلام صحيحا ومنطقيا في ضوء البؤس الاجتماعي الذي يعاني من سكان هذا الحي .. ولكن ذلك لا يبرر الجريمة ولا يبرر بقاء مئات الاطفال في حالة يتم داخل بيوت اشبه بالجحور مع مئات الارامل اللواتي فقدن كل معيل : الزوج والولد والاخ .

**النسوة من اهل هذا الحي يتحدثن بصراحة ووضوح:** (دخل الجنود علينا من كل منافذ الحي... وسدوها بالدبابات واخذوا يطلقون الرصاص في كل اتجاه ويحرقون بعض البيوت التي يشتبهون انها آوات بعض المقاتلين .. اكثر بيوت الوادي كانت قد تشققت او تهدمت بعض جدرانها من تأثير القصف .. اخرجوا الرجال من كل البيوت وساقوهم كالقطيع خارج الحي .. حتي لم يبق احد فوق الرابعة عشرة .. وتركونا مع الاطفال فقط ..

**بيوتنا اثارت امتعاضهم .**. لعلهم اشفقوا علينا .. لم يجدوا ما يسرقونه . انتظرنا طويلا دون ان يعود احد .. ثم اخبرنا الناس بعد ذلك عن جثث كثيرة مرمية في حديقة مدرسة المرأة العربية الواقعة خلف الحي .. هناك قتلوا كل رجالنا ولم يتركوا لنا شيئا معظم البيوت مهدمة .. لا تصلح تماما للسكن .. والزوج والابن والاخ ذهبوا الي غير رجعة).

الدخول الي هذا الحي بعد قتل كل رجاله مسالة تبعث عل الذهول والجنون معا .. هؤلاء الفقراء المعدمون .. هؤلاء الاطفال اليتامي الحفاة العراة في برد الشتاء قد فقدوا مرة اخري كل شيء .. حتي الراتب الشهري قطعته الدولة بحجة ان الشهداء يعتبرون من المفقودين وليس هناك ما يثبت وفاتهم ولا يجوز اعطاء الراتب قبل التأكد من ذلك (وكيف يتأكد الاهالي وآلاف الجثث المتفسخة في الحفر الجماعية قتلت ودون ان يسألها جندي عن اسم شهيد واحد؟) ومن يستطيع من هؤلاء الفقراء ان يقول للسلطة الحاكمة ان الجنود العاملين تحت امرتها قد قتلوا لهم اولادهم واخوتهم وازواجهم وباوامر منها .

من الأمثلة الحيه الموجعه في هذا الحي .. عائلو العوير .. وكانت مؤلفة من ستة من الاخوة يسكنون بيتا واحدا من زوجات اربعة وام عجوز وجيش من الاطفال .. قتل جميع الاخوة .. وطلت الام العجوز مع الارامل والاطفال .. وبدون اي دخل مادي .. حيث قطعت رواتب هؤلاء الشهداء جميعا.

**مجزرة المحطة :**

المحطة من المناطق الحديثة نسبيا في المدينة .. وهي تتفرع الي عدد كبير من الاحياء المحيطة . منها حي الحوارنة .. وقد قدر عدد القتلي في هذه المنطقة بحوالي خمسمائة شهيد ينتمون لاكثر من مائلة عائلة تسكن هذا الطرف من المدينة.

ورغم أن المنطقة لم تطلق رصاصة واحدة ضد السلكة ولم تشهد شوارعها مقاتلا واحدا والجيش عسكر منذ ليلة الأحداث علي ابنيتها واحتل الكثير من منازلها . ومع ذلك كانت هذه المنطقة السكنية مسرحا لعمليات الابادة طيلة يوم الأحد الدامي.

سرايا الدفاع تمركزت بصوره مكثفة داخل شوارع منطقة المحطة واتخذت من بعض البيوت اماكن اقامة ثابتة لها بعد ان قتلت أو أمرت اصحابها بالرحيل . وداخل هذه البيوت عمد الجند منذ اليوم الأول الي سرقة كل شيء ,,,, وكان الأثاث ينقل امام اعين الجميع علي الشاحنات .. ولم يتركوا حتي الملاعق والصحون ...

بعد ذلك عمدوا الي تخريب البيوت من الداخل بشكل مقصود .. كسروا الابواب والنوافذ واشعلوا فيها النار للتدفئة .. لوثوا الجدران ببقايا الطعام .. حولوا الغرف الي مراحيض وتركوا داخلها اكوام النفايات.

يقول اولئك الذين عادوا الي بيوتهم بعد رحيل السرايا:

(كانت البيوت شيئا فظيعا .. ماذا كان يفعلون فيها – لا ندري – سرقوا كل شيء حتي الصحون والثياب الداخلية .. فضلا عن الذهب والأثاث والادوات الكهربائية لكنهم تركوا لنا ذكريات مجيدة تدل عليهم .. لوثوا الجدران بفضلاتهم .. كانت البيوت وراءهم لا تصلح حتي مزبلة للحيوانات .. كانوا أقل من حيوانات).

لكن الأمر – في منطقة المحطة – لو اقتصر علي احتلال البيوت ونهبها لهان الأمر . لقد عمد جنود السرايا وبأوامر مباشرة من ظباط الكتائب , ظهر يوم الاحد , الي جمع اكبر عدد ممكن من الشباب معظمهم في سن العشرين .. اقتادوهم من البيوت بعضهم كان لا يزال يرتدي الثياب البيتية وبعضهم دون السادسة عشر من العمر .. وادخلوهم باحة محطة القطارات خلف السكة الحديدية وطلبوا من اصحاب البيوت المطلة ان يخرجوا ليتفرجوا علي احتفال الموت .. وهناك فتحوا النار علي الاجساد الغضة وسقط الشعهداء مضرجين بدمائهم .. وبقيت جثثهم طيلة تلك الليلة تنهشها الكلاب الجائعة المنتشرة في البراري المجاورة.

وفي احياء أخري من منطقو المحطة جمعوا اعدادا أخري من الشباب .. واعدموهم داخل مدرسة المراة العربية .. أو علي جدار مدرسة العميان .. هذا الجدار لا تزال حفرة وآثار الدماء والشعر البشري عليه شاهدة علي الجريمة.

وبعد يومين جاؤوا بالجرافات ونقلوا الجثث الي حفرة واسعة .. تقع خلف السكة الحديدية قرب المقبرة.

طيلة يوم الأحد كان الموت يسعي من بيت الي بيت .. لو استطاعت السلطة لصادرت هواء المدينة .. لاهلها فقط .. وكنا نتساءل مشدوهين .. هل يعقل ان يصل السلوك الانساني في هذا الزمن الحضاري الي هذا القهر من التوحش والجريمة .. لكن الموضوع ليس محض جريمة . إنه مؤامرة مدروسة من أجل ن يكبر نزيف الدم حتي يغطي كل مواطن ... إنهم دون شك يذبحون سورية . نعم كانوا يذبحون سورية عبر حماة.

-----------------------------------------------------------------------------------------الاثنين الثامن من شباط

يوم اسود جديد .. نتعقب الاذاعات .... ألم يسمع بموت مدينتنا أحد . الأذاعة السورية .. لاتزال علي عهدها .. تتحدث عن المواطن في ظل "الثورة" .. عن سوريا الصمود ... عن الشعب الذي يؤيد السلطة ويلتف حولها ... عن ... يالهذا الاعلام الفضيحة .. كان صوت المذيع اقسي وقعا من الموت .

حتي الاذاعات الأخري لا شيء . لا شيء . صمت عربي مقصود .. وغربي يتحدث في اللحظات المناسبة حين يوافق ذلك درجة علاقته بنظام الحكم السوري ... هذا اليوم - الاثنين – لن يختلف ابدا عن الأيام السابقة – ستستمر حملات الابادة بشراسة وقوة وسيكون الموعد .. مع – حي المرابط – باب القبلي .

**حي المباشورة**

وهو حي مرتفع ملاصق لمنطقة الدباغة .. وكان منذ اللحظات الأولي هدفا مباشرا للصواريخ تدك معظم بيوته التي تنهار علي جثث لا حصر لها .

هذا الحي لم ينج منه الا القليل .. استطاعوا عبر مساعدة بعض الجنود الهرب الي احياء اخري وهؤلاء الجنود كانوا يفعلون ذلك خفية وتحت تأثير الدوافع الانسانية.. لكنهم لم يكونوا كثرة .

ما حصل داخل هذا الحي... سمعناه من السنة الجنود ... يقول بعضهم وهو يضحك ...

( قتلنا الجميع في الباشورة لم نترك حتي الرضيع , لقد ساعدوا المقاتلين ضد السلطة ).

كان الجنود يتحدثون بحرية ولا مبالاة تصل الي حد الهوس .. يقول بعضهم لك بساطة .. ( قتلنا في الباشورة مئات الرجال والنساء والاطفال .. وتركنا الجثث للكلاب والقطط ).

لكن جنودا آخرين كانو يبدون مخاوف وتحفظات واضحة بما يشبه الاحساس بالعجز إزاء كل ما يحدث ( نحن مأمورون ... يقتلوننا إذا لم ننفذ ).

**سوق المرابط:**

الظباط يمسحون خرائط المدينة .... ويريدون قتلي من بقي من الاحياء ... إنه ربيع الموت يزهر في كل شوارع حماة دون استثناء واليوم سيحل البلاء علي سوق المرابط .. هذا الحي التجاري المكتظ بالبيوت والسكان .. كما سيشهد هذا الحي معركة ضارية بين عناصر سرايا الدفاع وعناصر الوحدات الحزبية من اجل الوصول الي سوق الصاغة واحتلاله , وهذا السوق الضيق الذي يقع في منتصف المرابط تماما.

لأيام خلت استطاع سكان حي المرابط ان يفتدوا ارواحهم بالممتلكات يقدمونها للجنود فيتم العفو عنهم . ولكن ذلك لم ينقذ الحي .. وحين وصل التعداد اليه .. خرج رجاله من البيوت الآمنة علي ايدي الجند , وكان يصيبهم الضرب والجلد .. ثم الاعدام . وقد بلغ عدد الشهداء من عائلة واحدة في هذا الحي هي عائلة " النوري " اربعين شهيدا .

أما ما تبقي من الرجال في الاحياء المجاورة علي قيد الحياة .. فقد جمعوا ارتالا ارتالا وهددهم الجنود بجعل الدبابات تمشي فوقهم ... إذا لم يرددوا الشعارات التي تقدس حافظ اسد وشقيقة رفعت :

(لا اله الا الله حافظ ولي الله ...)

( قائدنا من القرداحة ... بيعطي علي الله لاحة ) بالعامية ويردد المساكين والجنازير علي اعقابهم البنادق تنهال علي رؤسهم.

ولا تنتهي المسرحية عند هذا الحد .. يساق الجميع بعد ذلك الي معتقل المدرسة الصناعية ... مشيا علي الاقدام وعلي طول الطريق عبر شارع العلمين كانت افواج المعتقلين تهرول امام الجند حافية تتلقي الضربات بصمت رهيب وصبر .. وحين تصل الي المعتقل .. فإن احدا لن يستطيع أن يتوقع خروج رجل واحد .. فمعظم المعتقلين كانوا يعدمون علي الفور وتلقي جثثهم في حديقة المستشفي الوطني.

**معركة سوق الصاغة:**

تستحق هذه المعركة أن نتوقف عندها قليلا .. انها تقدم فكرة واضحة عن الأخلاق (الثورية) التي يتمتع بها حراس النظام.

عومل سوق الصاغة منذ بداية الأحداث خاصة .. فقد طوق بحراسة مشددة ويبدو أن الأوامر كانت صريحة الي الجنود الصغار .. بعدم الاقتراب من المخازن الا بإشراف الضباط الكبار المسؤولين.

بدأ الصراع حقا منذ بداية الأحداث بين ضباط الوحدات الخاصة ووضباط سرايا الدفاع حول أحقية كل من الطرفين في نهب السوق .. وتطور هذا الصراع يوم الأثنين الي صدام عنيف علي مدخل السوق . وقد استخدم الطرفان المتصارعان السلاح الخفيف والثقيل . علي اثر ذلك حصلت مداخلات من قبل رجال السلطة وعلي اعلي المستويات تقرر بعدها أن يكون سوق الصاغة من نصيب ضباط السرايا التابعين مباشرة (لرفعت الاسد) علي أن يسمح للوحدات أن تقوم بتفتيش منطقة (المدينة) حيث يسكن معظم الصاغة .. ولابد أن يكون هؤلاء قد احتفظوا بشيء من الذهب في بيوتهم وكانت حجة ضباط السرايا منطقية لأن جنودهم كانوا مشغولين طيلة الأيام الماضية بعمليات الابادة ولم يتسني لهم السرقة كما يجب . بينما استغل ذلك جنود الوحدات الخاصة .. فسرقوا ونهبوا وجمعوا الذهب من معظم بيوت المدينة وفعلا .. وضع ضباط السرايا يدهم علي سوق الصاغة وأقاموا لهم مركزا لتجميع المصوغات في احد المخازن.

بالطبع جمع الذهب بكامله .. وفتحت الصناديق الحديدية بدقة وعناية وعلي ايدي مدربة .. وحين فرغت المخازن تماما .. تركها ضباط السرايا .. نظيفة الا من الصندوق الحديدي الذي احتفظ به معظم الصاغه فيما بعد .. للذكري.

**حي باب القبلي والمدينة والجراجمة :**

باب القبلي من الاحياء المتطرقة وهو بشكل مع منطقة الجراجمة حزاما من الفقر يحيط بحماة من جهة الجنوب , بيوت هذه الاحياء المتواضعة تأوي في داخلها الألوف من كادحي هذه المدينة.

تلك الأحياء التي تنتهي عمليا عند (الجامع الكبير) اقدم جامع في سورية , كانت هدفا (منذ الساعات الاولي) مركز لهجوم الصواريخ فاحترقت بيوت وهدمت بيوت..

فقراء هذه الأحياء تعرضوا لكل اشكال القمع .. الضرب الاهانات المدهامات السرقات ... الاعتقالات.....

يوم الاثنين كان الموعد الذي لا ينسي . اصطف الرجال بالعشرات .. علي حائط الجامع الكبير ضربهم الجند باعقاب البنادق .. وقالوا لهم .. بالحرق .. لن يكون هناك رب يحميكم .. سنتقتلكم الآن .. وعلي باب المسجد الكبير .. سقط الشهداء وتعفر التراب المبلل بماء المطر بالدماء الطاهرة .. ظلت الجثث أياما .. ثم حملت بالجرافات الي الحفر.

كان عدد شهداء حي باب القبلي فقط اكثر من مائة شهيد .. بينهم الاطفال .. الذين لم يتجاوز الثانية عشر من العمر...

أما منطقة (المدينة) فتقع عند نهاية حي باب القبلي .. وتبدأ اعتبارا من الجامع الكبير باتجاه شارع ابن رشد .. المتصل بحي الدباغة.

تتميز هذه المنطقة بأنها المقر الطبيعي والدائم لسكان المدينة من المسيحيين ويعرف هذا الحي بجماله لقربه من العاصي . وكذلك بالابنية المتواجدة فيه .. مع الكنيسة الجديدة التي تقوم في منتصفه.

هذا اليوم كانت (المدينة) كباقي الاحياء هدما للسرقات والاعدام الجماعي . أغار اولا جنود الوحدات الخاصة علي بيوت الصاغة .. ضربوهم واسالوا الدم من أجسادهم بحثا عن الذهب .. ثم جمعوا الشباب من الحي ,, ووجهوا اليهم الاهانات والشتائم واتهموهم بتأييد المعارضة ضد السلطة (الحجة التي كانت تتذرع بها السلطة لذبح المدينة) , بعد ذلك اختارت العناصر الشابة واعدمتها علي الفور . لقد دفعت (حماة) الثمن غاليا من دم رجالها المنتسبين الي كل الطوائف جزاء وعيها الوطني.

----------------------------------------------------------------------------------------**الثلاثاء التاسع من شباط :**

--------------------------------------------------------------------------------------

طوال الليل ... لم ينتقطع اطلاق الصواريخ .. وكانت اصواتها تخرق الآذان كسكين حادة .. تتوجه عبر الظلام الدامس – وبصورة عشوائية – نحو بيت تعيس سيحترق مع سكانه بعد لحظات . وكنا نتوقع دائما أن نكون في عداد الأهداف الصاروخية . يطلع الصباح عن يوم لا يقل سوادا عن الليل.

البيوت الحزينة الصامتة . سيكون أمامها اليوم جولات جديدة أثناء النهار خف اطلاق الصواريخ علي منطقة السوق ... واقتصر علي الجانب القديم – منطقة الحاضر .

في هذا اليوم ستقوم السلطة بجمع الجثث من الشوارع الرئيسية ودفنها علي عجل وفعلا نشطت الجرافات وانشغل العساكر بجر الجثث .. التي خلفت وراءها الالبسة المثقبة بالرصاص – والاحذية المدماه .. وبقايا الشعر الانساني الذي ظل ملتصقا بالاحجار والتراب.

عصر هذا اليوم .. كانت اكثر الجثث قد اصبحت داخل الحفر الجماعية .. واهيل فوقها التراب .. فكان لابد ان يحتفل جنود السرايا علي طريقتهم ... وبدأ الاحتفال حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر.

علي طول الطريق الممتد من مدرسة المرأة العربية حتي البياض (احدي المناطق الحديثة) كان الجنود يدفنون أمامهم اعدادا غفيرة من الأهالي معظمهم من النساء والاطفال مع عدد لا بأس من الرجال .. وكانت الجموع تردد الهتافات بحياة حافظ الاسد وشقيقة رفعت .. ومن لايرفع حنجرته بالهتاف تعالجه اعقاب البنادق والهراوات , طلب الجنود من النسوة ( وهم يقهقون) الرقص .. ومن لا تفعل فستنال جزاءها برصاصات سريعه.

رقصت النسوة وهن يبكين .. وسط الجنود الداعرين ... كان الرجال قد أحنوا رؤوسهم الي الارض .. لم يستطيع احدهم ان يري المشهد.

كان الموت في تلك اللحظات اهون من الذل.

**الاربعاء العاشر من شباط :**

هدأ اطلاق الصواريخ هذا الصباح واقتصر علي الرصاص الذي كان ينهمر بلا سبب واضح بين دقيقة واخري.

منطقة السوق ستكون اليوم اهدأ من أي يوم سابق.

اما الحي القديم من المدينة فلا يزال داخل جهنم – ولا تزال الصواريخ تدك ما تبقي من بيوت .. لقد بدا واضحا ان الاحياء المتقدمة من الجانب القديم للمدينة قد اصبحت تلالا من الركام المختلط بلا ريب بمئات الجثث من الشهداء.

أحياء البارودية – الشمالية – الزنبقي .. اصبحت اثرا بعد عين ....

ووجه المدينة الجغرافي والسكاني يتغير .. والحقد علي حماة الي ما لا نهاية . هذا اليوم – وفي بعض الشوارع الرئيسية – من منطقة السوق يستطيع بعض المحاصرين الخروج الي مسافات محدودة .. لقد سمح الجنود لسكان بعض الاحياء بالتجوال . يندفع الأهالي مباشرة الي اماكن الاعدام الجماعي , لكنهم لا يجدون شيئا ... يقبلون الاحذية والالبسة المثقبة... ومن خلاها يتعرفون علي بعض شهدائهم .

كانت الدماء بقعا واسعة .. لم يستطيع المطر الهاطل منذ يومين ان يمحو بعض آثارها كان مشهد المدينة فظيعا .. خرافيا .. لا يتصور الا في الاحلام والكوابيس حماة في اليوم الثامن للمجزرة ... ليس فيها سوي الدمار والدم وسارقي الحياة.

**الخميس الحادي عشر من شباط :**

بعد تسعه ايام من الحصار والموت والجوع .. يصبح الخوف في نفوس الاهالي الصابرين لا مبرر له . لقد الفوا الموت والفهم .. لذل يخرجون من البيوت .. نساء واطفالا يمشون في الشوارع لا يصدقون ما تراه عيونهم.

الجنود ينظرون الي الاهالي ... بلا مبالاه ... بل كانوا يشجعون البعض علي الذهاب الي الاسواق لرؤية الدمار الحقيقي .. كانوا لا يخفون حماسهم لهذا الانجاز الرائع (المدينة المدمرة) الصورة الاكثر تعبيرا عن حضارة ( النظام الطائفي الاسدي)....

كان مشهد المدينة المذبوحة اقسي من كل مشاهد الموت الجماعي...

الاسواق ركام من الاخشاب والاحجار والحديد .. مع فتحات سوداء كانت تعرف فيما مضي بالدكاكين.....

منظر سوق الطويل يبعث علي القشعريرة .. نفق مظلم دون نهاية داخلة اكوام من الحجارة السوداء المحترقة تعلوها بقايا البضائع المرمية في كل اتجاه....

حماة في يومها الحادي عشر لا تختلف عن صور المدن القديمة البائدة التي كان يتركها الغزاة وراءهم اثر بعد عين.

كأن زلزالا قد هزها لقوة فقلب عاليها علي سافلها .

او كان يدا شيطانية آثمة عصرت قلب المدينة عصرا .. فانهار كل شيء علي كل شيء....

وبعد اليوم الحادي عشر يستطيع الاهالي وخلال ساعات محددة التجول لتأمين الحد الادني من مستلزمات الحياة .... التي كانت تغد علي المدينة من القري ... سيارت الخبز والخضار ...

مشهد الاهالي الصامتين الباقين علي قيد الحياة ... كان يعبر عن عمق المأساة الآتية والقادمة .. بعد فقدان كل شيء..

-----------------------------------------------------------------------------------------**الثاني عشر من شباط :**

هذا اليوم وما تلاه من ايام المحنة ... لم يكن أخف وطأة بالرغم من رفع الحصار النسبي عن بعض الشوارع . فقد بدأت ترد القصص تباعا علي السنة الناس وكان كل ما سمعناه سابقا علي هوله لا يشكل الاجزءا يسيرا من الحقيقة . بعض القصص لا تستطيع الطاقة البشرية احتمال وبدأنا برحلة تقصي حقائق جديدة ... وسمعنا للمرة الأولي....

بمجزرة العميان . بمجزرة الاطفال . بمجزرة مفتي المدينة وشيوخها . بمجزرة النساء في الحمامات القديمة . بجرائم المستشفي الوطني . بحكايا المعتقلات مع عشرات القصص المروعة التي دونها العقل البشري ذاهلا مشدوها وعاجزا عن التصور والفهم.

ناهيك عن المنطقة القديمة والتي لا تزال حتي هذا التاريخ جحيما يشتعل .. وجئنا تقذف تحت الركام والرماد.

مأساة الحي القديم لا يمكن حصرها ولا رصد صورها .. لان شهودها يقبعون اليوم في الحفر الجماعية او تحت مياه نهر العاصي .. مع ذلك تسربت فيما بعد بعض الحكايا التي تعبر عن جانب يسير من مأساة الحي القديم لا نستطيع سردها لكثرتها وتداخلها حيث يشكل كل انسان هناك مأساة متكاملة.

تنتهي من يوميات الحزن لنعرج علي تفصيلات بعض المجاز.

**مجزرة العميان**

في منطقة المحطة هناك مدرسة للمكفوفين .. تعلم القرآن الكريم واللغة العربية .. ويقوم علي التدريس فيها شيوخ عميان مقيمون....

اثناء الاحداث داهم سرايا الدفاع المدرسة .. لم يجدوا في داخلها سوي الشيوخ .. ومعظمهم ناهز الستين من العمر .. وبعضهم متزوج وعنده عدد وفير من الاولاد . لنسمع الي التفاصيل.

يبدأ الجنود بضرب الشيوخ بالجنازير ... فتسيل الدماء من رؤوسهم وايديهم ...

يتوسل المكفوفون .. لكن الجنود لن يتوقفوا عن الضرب الا بشروط ... ماهي الشروط ؟

يطلبون من الشيوخ العميان ان يرقصوا .. يبكي هؤلاء .. لكن العساكر يشعلون قطعة من الخشب ويضعونها علي لحي المكفوفين ,,, ويحترق الشعر الاشيب في الوجوة الطاهرة . ويهدد الجنود من جديد – اما الرقص واما الموت حرقا ... فيرقص الشيوخ العميان ... والجنود الداعرون يضحكون .. وحين تنتهي المسرحية يتقدم الجنود بكل سهولة ويشعلون النار في ثياب المكفوفين ثم يطلقون الرصاص ويتلوي الشهداء ويسقطون صرعي لكن جثثهم تتابع الاحتراق.

من شهداء هذه المجزرة الشيخ شكيب وهو كفيف ناهز الستين من عمره . الشيخ اديب كيزاوي وعنده تسعة من الاطفال الشيخ احمد الشامية مقريء القرآن الضرير.

**مجزرة المفتي ورجال الدين**

أما رجال الدين فقد تبعوهم الي بيوتهم واقتادوهم واحدا بعد الآخر .

بدؤوا اولا بمفتي حماة اليخ بشير المراد . ويقع بيته في منطقة باب البلد .. فيذهب الجنود اليه وأخرجوه من داره مع مجموعه من اقربائه .. واخذوا يضربونه .. ويعفرون لحيته بالتراب .. وقاموا بسحبه علي الارض ثم احرقوه وهو حي .. (ذهب من هذه العائلة تسعة شهداء كلهم أئمة مساجد).

اما الشيخ منير حواراني فقد اقتادوه مع والديه .. وأعدمهم جميعا . وكانوا قد أعدموا ابنه الشهيد رائد الحوارني قبل سنوات.

الشيخ عبد الله الحلاق : اقتادوه من احد الملاجيء وكان معه مجموعة من اهل الحي .. طلب منه الجنود ساخرين أن يتلو القرآن عسي ان يجد الله له مخرجا ! . واطرق الشيخ الجليل الشجاع وقرأ بعض ايات القرآن الكريم .. لكن الظابط المسؤول سخر وقال له .. ان ربك لن ينجدك لقد حانت ساعتك وسنضعك في جهنم . اقتادوه الي سوق الحدادين وسكبوا عليه برميل المازوت وأحرقوه .. نعم .. أحرقوا هذا الشيخ الوطني الجليل ابن الثمانين عاما دون ان يتحرك فيه عصب او يرف لهم جفن .

الشيخ عبد الرحمن الخليل : وهو عالم ضرير .. ناهز الثمانين من العمر . عرف منذ شبابه بموافقه النضالية ضد كل اشكال التسلط السياسي والاجتماعي . هذا الشيخ الفاني يسكن في حي الحاضر وقد احترق منزلة اثناء القصف الصاروخي .. يقول شهود العيان من جيرانه الذين اخذوا بالهرب حين بدأت البيوت كلها تشتعل , انه اخذ يستنجد ويطلب من الجنود الذين حوله ان يساعدوه علي الخروج .. لكنهم القوا علي المنزل قنبلة حارقة فتهاوي البيت كليا .. واحترق الشيخ بداخله.

نترك هذه الاحداث دون تعليق .. فالكلمات ادني منها . واللغة عاجزة عن الصول الي التعبير المناسب.

**مجزرة الاطفال :**

في نهاية شارع الثامن من آذار حيث يقوم تقاطع مع سوق الطويل يقع مسجد يسمي (الجامع الجديد) , في داخله وقعت مجزرة رهيبة بعد اربعه عشر يوما من الاحداث .. وكان الناس قد بدوا يخرجون قليلا الي الشوارع . طلب الجنود من الاهالي التوجه نحو سيارت الخبز في طرف الشارع ... اسرع الاطفال وكانوا بالعشرات حملوا الخبز وقفلوا عائدين .. اعترضهم الجنود .. وطلبوا اليهم الدخول الي الجامع الجديد وهناك فتحوا عليهم النار .. وسقطت الاجساد الطرية وسالت الدماء الطاهرة علي الخبز الذي كان لا يزال في الايدي الناعمة.

**مجزرة النساء في الحمامات القديمة:**

القصص هناك لا تصدق ... يرويها الناس بجنون وذهول .. كان الجنود يدخلون الي الملاجيء وينتقون الفتيات الصغيرا ولا يعرف الأهل بعد ذلك عنهن شيئا.

في حمام الاسعدية الكائن في منتصف سوق الطويل .. وجدت جثث كثيرة لفتيات معتدي عليهن ومقتولات.

-----------------------------------------------------------------------------------------**مجازر المستشفي الوطني**

وهذه المجازر فاقت الوصف والتصور...

داخل المستشفي كانت واحدة من فرق الموت التابعة لسرايا الدفاع قد تمركزت بصورة دائمة طوال الاحداث . وكان عملها ان تجهز علي الجرحي من الاهالي . يقول شهود العيان : كان الوضع في داخل المستشفي رهيبا وفظيعا . القتلي بالعشرات يملأون الممرات والحديقة الخارجية .. وفي بعض الاماكن تكدست الجثث فوق بعضها وبدأت تفوح منها روائح الاجساد الميتة المتفسخة .. معظم هؤلاء القتلي من الاهالي يرسلهم المعتقل الملاصق للمستشفي في المدرسة الصناعية .. حيث يموت كل يوم العشرات .

اكثر الجثث كانت مشوهة او مقطعة او مهروسة احيانا . وكان من الصعب التعرف علي اي واحد ة منها . تجمع كل يوم أكوام الجثث في سيارات النفايات وتنقلها الشاحنات الي الحفر الجماعية.

احيانا كان يفد الي المستشفي بعض الجرحي .. هؤلاء كانوا لا ينتظرون طويلا .. فان فرقة الموت تباشر عملها بهمه ونشاط .. وبالسكاكين والسواطير تعمد الي تقطيع الجسد الجريح.

في احد ي المرات قتلوا جريحا .. واخرج احد الجنود قلبه .. هذه القصة ليست خرافية .. والشهيد الذي اخرجوا قلبه يدعي (سمير قنوت) من حي المحاضر.

قصص المستشفي الوطني كثيرة جدا .. حيث تحول هذا المكان الي مسلخ بشري لا مثيل له في التاريخ القديم والمعاصر.

-----------------------------------------------------------------------------------------**جرائم المعتقلا ت:**

النازية الجدية تتفوق علي النازية القديمة في فن الاعتقال والتعذيب حتي الموت حرقا او جوعا او تقطيعا بالسواطير والسكاكين.

المعتقلات في حماه اثناء الاحداث كثيرة متعددة لكن اشهرها معتقل المدرسة الصناعية .....

هذا المعتقل .. حشدت السلطة في داخله الآلاف .. وتكدست الاجساد البشرية المنهكة داخل الغرف الواسعة الباردة.

كان المعتقلون يظلون اياما بلا طعام .. يدخل عليهم الجنود بعد يومين .. بشيء من الماء والخبز اليابس .. وينثرون ذلك امامهم كما تطعم الكلاب والقطط.

ويخضع المعتقلون الي عمليات تحقيق يتخللها تعذيب وحشي علي يد الجنود والظباط .. وغالبا ما تنتهي هذه التحقيقات بالسجناء وقد تحول معظمهم الي جثث مشوهة ومضروبة بالسكاكين او البلطات وبعضهم هرست روسهم بملزمة الجدادين هرسا.

بعض السجناء كان يحاول الانتحار تخلصا من العذاب النفسي الطويل .. وبعض السجناء كان يطلب من الجنود ان ينفذوا حكم الاعدام فيه علي الفور , وسريعا ما يلبون الطلب.

قصص لا تصدق كان يرويها بعض الناجين من المعتقلات عن صور جهنم القابعة في المدرسة الصناعية.

في معتقلات اخري كانت الامور ادهي .. ففي معمل البورسلان وتحت امرة الجيش مباشرة اقتاد الجنود الآلاف من الرجال .. وتركوهم في العراء تحت المطر والبرد .. بلا طعام وكالعادة كانت التحقيقات تنتهي بجثث جديدة .. لا تقذف هذه المرة في حديقة المستشفي الوطني .. بل تتلقفها الافران ذات الحرارة المرتفعة جدا في معمل البورسلان . داخلها استوت مئات الجثث .. وهكذا يتكشف علم الجريمة عن آخر منجزات الحضارة (الاسدية) . ومن معتقل البوسلان نقدم صورة واحدة معبرة (مصرع الدكتور حكمت الخاني) وقد تم علي يد الجنود وامام مجموع المعتقلين.

كان الجنود قد جمعوا المعتقلين ارتالا .. وبدأوا يسألون عن بعض الاسماء .. وكان الطبيب الشهيد مع السجناء..

عرف الجند ان من بين المعتقلين – رجل طبيب - وهذه صفة يجب ان تأخذ حقها من العقاب في عرف السلطة الغاشمة .

**سحب الجنود الدكتور الخاني ورموه ارضا .. وبدأوا بضربه وركله .. يقول احد المعتقلين , فجأة رأيت الشهيد الخاني يتدحرج كالكرة علي الارض ... وتنفر الدماء من راسه .. تقدم الجلادون بعد ذلك وبدأوا بضربه بالبلطات وهو يتلوي ثم صاح احدهم انت طيبي عيون ... سنقتلع عينيك .. وفعلا فتم اقتلاع عيني الشهيد علي مرأي من المعتقلين وبقايا الحياة لا تزال تسري في جسده ثم سحبت الجثة ورميت يومين علي باب المستشفي الوطني . هذه عينة واحدة من جرائم المعتقلات وهي غنيه عن التعليق.**

بعد ذلك , هل اكتفت السلطة ؟ لنلق اولا نظرة علي واقع المدينة بعد اسابيع ثلاثة من بداية المجزرة . حتي العشرين من شباط كانت التقديرات الأولية علي النحو التالي : عدد القتلي يقارب العشرين الفا .. عدد المفقودين حوالي عشرة الآف .. نسبة الخراب الكامل حيث تحولت الاحياء الي ساحات ترابية بلغت 40% منمساحة المدينةة 40% من مجمل مساحه المدينة.

الحياة الاقتصادية معدومة كليا بعد الخراب الكامل لجميع الاسواق ونهبها وحرقها فضلا عن استشهاد او اختفاء العدد الاكبر من التجار اصحاب المحلات التجارية .

الوضع السكاني رهيب .. وتدل الاحصاءات ان الفاجعة كانت من الشمول بحيث لم تبق عائلة واحدة في المدينة لم تفقد بعض رالها او كلهم احيانا .. (وهذا يؤكد الاحصاء الذي اثبتناه في الخاتمة وهو يشير الي اسماء العائلات المصابة والتي تشكل عمليا غالب الاسر في المدينة).

ماذا يريد مصاصو الدماء اكثر من ذلك ... ؟ سنترك الاجابة لاحد كبارهم الذي لم ترو دماء العشرين الفا عطشه.

في الثاني والعشرين من شباط حدثت الواقعة التالية . وهي باتت معروفة للجميع يتناقلها الجنود والاهالي علي السواء .. يزور رفعت الاسد المدينة ويحوم فوقها بطائرة هلوكبتر . حتي يتأكد بنفسه من حجم الدماء .. بعد ذلك يعقد اجتماعا في المطار مع كبار ضباط سرايا الدفاع . ويسألهم عن التقديرات الأولية لعدد القتلي . يقولن عشرين الفا . لكن الجلاد لا تسره الاجابة فيقول . هذا الرقم قليل بالقياس الي تعداد سكان المدينة البالغ اكثر من مائتين من الالوف. يجب ان يرتفع الرقم . يجيب احد الضباط لقد اعتقلنا معظم الرجال الباقين واحتجزناهم في المعتقل لكن عددا لا بأس به من ابناء المدينة قد استطاع الهرب اثناء الاحداث باتجاه القري.

هنا يطلب (رفعت اسد) بالتحديد ان يوغر الجيش المتواجد في حماة الي السكان ان الامور قد انتهت عند هذا الحد . وان منع التجوال سيرفع عن المدينة اعتبارا من نهاية الاسبوع . وفعلا بدأت في اليوم التالي (تحديدا الثالث والعشرين من شباط مساء الثلاثاء) سيارات تذيع بمكبرات الصوت انتهاء منع التجوال اعتبرا من صباح الاربعاء ( الرابع عشر من شباط ) شاع الخبر بسرعة .. وعاد عدد كبير من المهاجرين الي حماة مساء الخميس (الخامس والعشرين من شباط) لتفقد بيوتهم وممتلكاتهم .. وكانت الواقعة الرهيبة يوم الجمعة السادس والعشرين من شباط .

-----------------------------------------------------------------------------------------**مجزرة السادس والعشرين من شباط (الجمعة الحزينة)**

منذ الصباح تهدر شاحنات الجيش علي الطررقات وتظهر حركة غير عادية من تنقلات الجنود الذين انسحبوا وتمركزوا في معظم الابنية المرتفعة , بعض الناس ممن وفرتهم المجزرة كانوا في الشوارع او علي ابواب البيوت .. وكان الجميع يتناقلون الاخبار بذهول .. في ازقة جانبية تكاثر تجمع الاهالي اطفالا ونساء وعددا من الرجال الناجين , وهذا طبيعي بعد السماح بالتجول وبعد حصار دام اسابيع ثلاثة . يبدأ عمل الجنود منذ العاشر صباحا.. فجاة وبدون سابق انذار يهجم العساكر علي تجمعات الاهالي ويقودون ما تيسر منهم شيوخا اطفالا .. رجالا خرجوا لتوهم من المعتقلات وحين لا يكون العدد وفيرا يقرعون الابواب (دون تميز) ويطلبون المزيد ولم يات عصر هذا اليوم الا والشاحنات قد امتلأت بما يقارب الثلاثة آلاف من المعتقلين بينهم رجال شيوخ تجاوز بعضهم الثمانين عاما .. وكان ظن الجميع ان العملية وقائية لا متصاص ردات الفعل علي اثر فتح التجوال .. لكن الشاحنات توجهت مباشرة الي مقابر سرحين وداخل عشرات الحفر المتسعة أجبر المعتقلون علي الركوع وانهمر عليهم الجحيم والموت دفعة واحده من رصاص المئات من جنود السرايا المدربين جيدا علي معالجة حالات كهذه , وانتهي يوم السادس والعشرين من شباط الاسود وقد ارتفع عدد الشهداء في المدينة الي ما يقارب الخمسة والعشرين الفا من الشهداء . لم ينج من المذبحة سوي رجل واحد . حين انهالت الجثث عليه .. انتظر هبوط الظلام وغادر المقبرة عبر البساتين والقري وكان هو الشاهد الوحيد الباقي علي قيد الحياة الذي روي حقيقة المذبحة علي النحو الذي وصفناه آنفا.

من شهداء هذه المذبحة : عبدالرحمن نعيمي .. وهو شاعر وله قصائد متعددة في ميدح حافظ الاسد لم تنفعه يوم المذبحة المحامي تايه جمعه وهو من الاعضاء البارزين في الحزب اشيوعي التابع لخالد البكداشي . المواطن (عيسي عرجة) مسيحي ويبلغ الثمانين من العمر . (منقذ ريس) وعمره احد عشر عاما.

وينتهي شباط . ولكن السلطة لم تنته بعد .. وطوال شهر آذار يمتد العقاب ليتناول هذه المرة حجارة وقبورها وآثارها وجوامعها وكنائسها .. وهكذا يرتدي الحقد الطائفي ثوبا جديدا . محمد ياسين واحد من ابرز ضباط سرايا الدفاع عينته السلطة خلال آذار حاكما عرفيا علي المدينة . لكن المساجد بمائذنها تحرك احقاد الوالغين بالدم .. ويصدر ياسمين أوامره .. يجب ان تهدم كل الجوامع .. وتبدأ المعركة مع الحجارة .. في كل يوم تتكفل اطنان من الديناميت بقتل المقدسات والتراث والتاريخ .. بدؤوا بالجامع الكبير وعمره آلاف السنين ظلوا يومين يعملون حتي استطاعوا تقويض اركانه .. جامع السلطان لم يستطيعوا هدمه كليا . فضربوا المئذنة والسقوف واتكأت الحجارة البيضاء الحزينة علي بعضها وانتثرت المصاحف بينها واختلطت الاوراق المقدسة بالركام . وعلي مدي اسبوع كانت مساجد المدينة تلالا من الحجارة والاسمنت والتراب لكن الحقد لازال يشتعل في الصدور وسمتد الي الكنائس .. سرقت الايقونات المقدسة والثريات والتحف منها اولا .. ثم جاء دور التدمير . تحولت الكنائس الي خراب ودمار .

الابنية القديمة في حي الكيلانية الأثري .. وفي منظقة الحاضر .. تحولت بفعل التلغيم والتفجير الي فجوات ترابية هائلة.

سوق الطويل بعد حرقه قاموا بهدمه كليا .. واصبح اليوم نفقا طويلا من الحجارة والركام والجدارن المهشمة المتداعية . حتي المقابر نالت نصيبها من الحقد الطائفي . وعلي مدي اسبوع تكفلت الجرافات والمداحل بتسويتها مع الارض .. وهكذا استوي في المدينة الشهيد الاحياء والاموات.

والآن ... بعد هذا الذي رايناه ..

هل يحق لاي عربي – فيه بقية ايمان بعروبته ان يؤيد هذا النظام ؟

هل يحق لأي مسلم يخاف الله وفيه ذرة اسلام وايمان ان يزود مثل هذا النظام بالمال ؟

هل يحق لاي انسان – باسم الانسية فقط – ان يقف محايدا ازاء ما جري ويجري من أهوال ؟

من قلب الماساة نال .... وللتاريخ نترك الجواب !

الفصل الثالث

**مجزرة حماه .. لماذا ؟**

الآن وبعد ان رأينا ما حل بهذه المدينة المغدورة من فظائع وأهوال , ينتصب السؤال : مجزرة حماة .... لماذا ؟ لماذا سوريا , لماذا حماة بالذات؟

ان الجواب علي هذا التساؤل يكشف كل ابعاد الحقيقة.

لنترك النظام أولا يقدم اجابته ... لنترك المجرم يبرر للآخرين جريمته : في رواية لمجلة الطليعة الضادرة في باريس نقلا عن مسؤول سوري رسمي " ان حوالي 200 مسلح نزلوا في ليل الثاني من فبراير عام 1982 واحتلوا المدينة وصفوا حوالي 90 شخصا من اتباع النظام وسيطروا علي المراكز الهامة وأعلنوا العصيان المسلح عند ذاك اضطرت السلطة السورية لاتخاذ القرار " بتنظيف " المدينة منهم واعادة الآمن الي المدينة "

انتهت الرواية الرسمية السورية . من فمك نديتك ! ان النظام الاسدي بعرضه للمسألة بهذه الطريقة يدين نفسه : اذا كان مئتا شخص تمردوا علي السلطة فلماذا قتلت الدولة خمس وعشرين الف انسان ؟ ولماذا هدمت اكثر من ثلث المدينة ؟

لنفترض جدلا ان مئتي مسلح في مدينة تعدادها ربع مليون اعلنوا عصاينا مسلحا فهل يحق للحاكم ان يدمر المدينة بأهلها من النساء والاطفال اي ان يحمل " ربع مليون انسان " مسؤولية مئتي فقط !!!

ألم يكن بالامكان حل آخر ؟ غير قصف المدينة بالطيران ورجمها بالصواريخ !؟

أي حاكم في الدنيا مجنون ينتفض ضد مئتا انسان فبدل ان يلاحقهم او يحاكمهم او يفاوضهم هم يضرب المدينة التي هم منها بالصواريخ والمدفعية والدبابات فيقتل الاطفال والنساء والشيوخ والمدنيين الامنين ويهدم المنازل علي رؤوس اصحابها وتكون النتيجة خمسا وعشرون الف انسان ما بين قتيل و .... قتيل ....

**ملحوظة :** في "حرب" حماه لم يكن هنالك جرحي لأن قوات الاسد كانت تلاحق الجرحي حتي المستشفيات وتجهز عليهم.

يجب ان نثمن معا هذا الوجه الحضاري الجديد !!!

مرة اخري نعود الي سؤالنا الحار والمدهش لماذا ؟

لقد اراد النظام علي ما يبدو ان يعطيدرسا بليغا لكل المدن السورية لكي ... وأبدا تتذكردائما وابدا انها اذا مافكرت يوما بأي تحرك ضد النظام فستلقي نفس المصير.

ومع هذا وذاك يبقي التساؤل المرير .. لماذا ؟ معلقا يلح في طلب الجواب .

من اجل ذلك لابد من وضع مأساة حماة في سياقها السياسي والتاريخي , لابد من الامساك بالبعد التاريخي – اجل – لان الحدث لم يخلق من فراغ ولم يهبط فجأة من سابع سماء وانما سبقته احداث متصلة ببعضها البعض ... والحاضر الدامي هذا هو من نتاج الماضي وعصارته ... هذا الماضي الذي لا يمضي ابدا بل يستمر فينا وفي دورة الحياة .. يلقي بظله الكثيف علي الحاضر ليصوغ معه افاق المستقبل.

لماذا مجزرة حماة ؟ سؤال لا يمكن في الحقيقة ان يلقي جوابه الشافي والوافي اذا لم ننظر قليلا الي الوراء في تاريخنا الحديث وعلي الاقل منذ بداية الاستقلال.

-----------------------------------------------------------------------------------------**" الإثم السوري "**

---------------------------------------------------------------------------------------

منذ دخول الجنرال غورو الي دمشق عام 1920 وعلي مدي ربع قرن لم تهدأ المقاومة الوطنية أبدا ضد المستعمر الفرنسي ... وكانت الثورات السورية اللاهبة تتعاقب واحدة اثر اخري ... وحتي نالت سوريا استقلالها اخيرا عام 1946 وكانت بذلك أول دولة عربية – لا بل أول دولة في العالم الثالث – تحظي بهذا الاستقلال.

لقد لفت انظار المستعمر ديناميكية هذا الشعب ووطنيته الخارقة التي كان اعظم رمز لها : ميسلون.

بعد الاستقلال دخلت سوريا في تجربة ديمقراظية برلمانية .... وعرفت في ذلك الوقت بدايات حركة شعبية قوية معادية لكل اشكال الاستعمار والاستغلال والتمييز وفي نفس الوقت بدأت المؤامرات المتعددة – الانجليزية والامريكية – لتفرغ الاستقلال السوري من حتواه وربط سوريا بالأحلاف العسكرية وادخلها في مناطق النفوذ.

كان الفصل الاول في هذه المؤامرة انقلاب حسني الزعيم . الانقلاب رقم 1 في تاريخ سوريا الحديث الذي تم بتدبير السفارة الأمريكية في دمشق وذلك في سبيل القضاء علي التجربة الديمقراطية الوليده ونسليم الحكم للعسكر . ثم لتمرير الاتفاقيات التي لم تستطع القوي الاستعمارية تمريرها في ظل النظام الديموقراطي التعددي مثل اتفاقية النقد المعلق مع فرنسا واتفاقية النفط مع شركة التابلاين الأمريكية .

سقط حكم حسني الزعيم سريعا وفي غضون بضعه اشهر فقط لانه خان الأماني القومية للشعب السوري.

وتتابعت المؤامرات بعد ذلك – كانت تلاحق وتصدت لها سوريا جميعا واستطاعت بفضل وجود نظام سياسي يقوم علي الديموراطية والتعددية السياسية فيها وبفضل وجود حركة شعبية متنامية , استطاعت ان تخرج منتصرة من كل امتحان وكانت تلك بالفعل الفترة الذهبية التي امتدت طيلة فترة الخمسينات.

**لنستعرض بإيجاز اهم تلك المؤامرات الفاشلة:**

1. مؤامرة الهلال الخصيب وسوريا الكبري التي حاول الاستعمار فيها ربط سوريا بالعراق الواقعة تحت النفوذ الانكليزي آنذاك.
2. مشروع النقطة الرابعة الأمريكية.

ج- مبدأ إيزنهاور . مبدأ الفراغ الذي تصدت له سوريا وأفشلته.

د- حلف بغداد : الذي أسقطته سوريا وتصدت له منذ اليوم الأول لقيامه الي ان دفن مع عبد الاله ونوري السعيد.

ه- المؤامرة الامريكية عام 1956 .... بهدف القيام بانقلاب عسكري في سوريا وافتضاح أمرها مع بدء الهجوم الثلاثي علي مصر .

و- الحشود التركية علي الحدود . كان الرد السوري عليها هو تسليح الشعب بأكثريته الساحقة تحت لواء المقاومة الشعبية والاستعداد للدفاع عن ارض الوطن بالروح والدم.

لقد تحطمت حلقات المؤامرة الأمريكية واحدة تلو الاخري بفضل الوعي الوطني للشعب السوري.

وفي بداية عام 1958 توجهت هذه الانتصارات باعلان الوحدة مع مصر وميلاد الجمهورية العربية المتحدة ... اول وحدة في تاريخ العرب الحديث . خلال كل هذه المعارك والمواجهات كانت حماة تتصدر النضال الوطني والشعبي وكانت سباقة علي كل مدن سوريا تقريبا وكانت بمثابة المرجل الثوري الذي لا يكف عن الغليان.

وهكذا اذهلت سوريا الجميع واصبحت كما قال عنها احد السياسيين الغربيين "راد يوم المنطقة " الذي تمتد اشاعاته حتي خارج الاناء الذي هو فيه . هنا بالظبط تكمن "جريمة سوريا" التي لا تغتفر في نظر الاستعماريين الجدد والقدماء , كيف يتصدي بلد صغير لوحده ويحبط كل هذه المخططات؟

كان ذلك بالظبط هو ما يمكن ان اسميه "الأثم السوري" الذي لابد ان تدفع سوريا ثمنه غاليا– ودفعته – كما خطط دهاة الاستعمار ودهاقنة السياسة الامريكيين . من هنا نفهم المصائب التي توالت فيما بعد علي سوريا وعلي حماة بالذات .

كان قيام الجمهورية العربية المتحدة التهديد الاكبر للقوي الاستعمارية . "كانت تلك اياما سوداء" علي حد تعبير بنغوريون في مذكراته.

ثم كان الانفصال الذي لم يدم اكثر من عام ونصف .. لان سوريا "تلك العروس الاشد عروبة من الجميع " لا ترضي ابدا بالتقوقع القطري والانغلاق علي ذاتها وانما هاجسها الاكبر كان وما يزال الوحدة القومية.

في صباح الثامن من آذار عام 1963 قامت حركه في سوريا واستلمت السطلة ولقد تحدثنا في المدخل التاريخي عن هذه الحركة .

ثم اتت هزيمة 67 لتؤرخ بداية الانحسار الفعلي لحركة التحرر العربية.

هنا لابد من وقفة عند نقطة هامة لغاية : ان عام 67 هو بداية المؤامرة الامريكية الجديدة علي الشرق العربي كله بما في ذلك سوريا الوطن . وان هذه المؤامرة الجديدة مختلفة نوعيا عن كل المؤامرات والمحاولات السابقة في نقطة جوهرية : لم تعد أمريكا تعتمد علي الرموز القديمة المكشوفة . لقد غيرت تكتيكها كليا . لقد بحثت لها عن ادوات في قلب حركة التحرر العربية . عن رموز مختبئة وراء شعارات ثورية براقة رموز تلبس الف قناع وقناع . تتحدث ليل نهار بالتقدم والاشتراكية وهي لا تغني في الحقيقة شيئا. وكان حصان طروادة الكبير في مصر انوار السادات , وفي سوريا حافظ الاسد.

سقط ناصر علميا صباح ال 67 ولكنه استمر بين الموت والحياة حتي عام 70 حيث ترك هذا العالم وماتزال مرارة الهزيمة في حلقه.

منذ ذلك الوقت بالتحدي – يدخل الشرق العربي عمليا في المنعطف الخطر الذي لا يزال فيه حتي اليوم : "الكوع الاميركي" حسب التعبير الشعبي السائد.

وكانت أول الثمار : حركة تصحيحية في مصر واخري في سوريا : السادات والاسد.

من الطبيعي ان يعارض الشعب السوري مثل هذه الحلول .... من هنا بدأت المواجهة بين الشعب والنظام : تصعيد نضالات من الشعب وتصعيد معاكس من القمع والارهاب من قبل النظام . ودخلت سويا في بداية المازق السياسي المستحكم حتي الان.

انتقل ثقل العمل القومي بعدها الي لبنان نظرا لوجود مناخ ملائم من الحرية السياسية . وحين ظهرت القوة الجديدة الفلسطينية – اللبنانية الوطنية علي مسرح الاحداث لتتصدي للمؤامرة كان التدخل السوري ضدها ... لاجبارها علي الاستسلام . وتساءل الناس : لابد ان شيئا جديدا نوعيا قد حصل في سوريا ! ولا فما معني هذا التدخل ؟ وكان ذلك الحدس عين الحقيقة.

هنا مع بداية التدخل في لبنان تأخذ الأزمة السورية في التعقيد . ويبدأ الغليان في الداخل السوري.

تصاعدت نضالات الجماهير في سبيل ردع النظام : مذكرات من النقابات , بيانات للقوي السياسية , مظاهرات ..... وأخيرا الاضراب الشامل في مدن سوريا في آذار عام 1980.

هنا تعمق الصراع وازداد جنون النظام فأنزل الجيش في المدن وأنزل سراياه ووحداته الخاصة لتسبيح مدن الشمال ولترتكب فيها من الفظائع والفضائح ما يعجزمن وصفه اللسان.

ولقد تحدثنا – في فصل سابق – عن المجازر ..... ووقفنا اكثر عند مجزرة حماة التي ذكرت الناس بهولاكو واجتياح التتار لبغداد والشام .

انتهت مجزرة حماة عمليا حوالي اول آذار من العام المنصرم.

لتبدأ مجزرة بيروت في الخامس من حزيران من نفس العام . اربعة شهور فقط تفصل بين المجزرتين.

بيروت كشفت لماذا مجزرة حماة . حين اتت بيروت كان الشعب السوري – في حماة وغير حماة – مايزال يلعق جراحه.

ان هنالك علاقة سببية جدلية بين حماه وبيروت . رغم عدم ارتباطها في الظاهر.

**بيروت رمز القمع الخارجي.**

**وحماة رمز القمع الداخلي.**

**وكلا الرمزين يصوغان رمز اشمل** هو اخماد الروح الوطنية لدي الشعب وتنفيذ المؤامرة دون ازعاج من احد.

وبما ان سوريا كانت سباقة في التضحية في كل ميدان من اجل قضايا العرب فكان لابد من معاقبة سوريا , ومن هنا تعاقب المصائب والمجازر عليها.

وبما ان حماة بالذات كانت سباقة علي كل مدن سوريا بالتضحية والكفاح ضد الاستعمار الفرنسي والدكتاتوريات العسكرية المتعاقبة فكان لابد من سحق "جرثومة الوطنية" هذه .

انه القصاص من شعب بأكمله . شعب كتب عليه ان يكفر عن "الاثم السوري" وطنيته واندفاعه.

الآن يبدو الجواب واضحا علي السؤال الاساسي الذي طرحناه منذ البداية : لماذا مجزرة حماة؟

إذن إن مجزرة حماه كما يتضح لنا ليست حادثا عارضا في تاريخ النظام السوري ولا هي " تعبير عن فورة انفاعليه مجنونة لهذا الركن او ذاك من بين اركانه " كما انها ليست المجزرة الوحيدة التي ارتكبها النظام المذكور وان كانت ابشعها علي الاطلاق . ان هذا السياق المستمر من القمع الدموي الشرس له خلفيته السياسية المعقدة . ان حافظ اسد كأحد أهم ادوات المؤامرة الاستعمارية الصهيونية علي الوطن العربي كان يرمي من وراء مجزرة حماه الي تحقيق اكثر من هدف:

1. أريد من مجزرة حماه ان تكون درسا بليغا لكافة المدن السورية حتي يتعلم الشعب منها فضيلة السكوت فلا يري ولا يسمع ولا يتكلم والا فالموت له بالمرصاد.
2. أريد ايضا من جرائم حماه وعن قصد ان تأخذ شكلا موغلا في ا لوحشية والدموية حتي ينسف ذلك جسور العلاقات الطبيعية بين ابناء الطوائف في الوطن السوري الواحد.

فدماء حماه ... والجثث المحترقة علي ضفاف نهرها ... كانت تهدف من جملة ما تهدف الي اقامة الحواجز النفسية بين فئات الشعب المتعددة حتي يكبر الجرح وترتفع سدود الدماء عليا وتمنع الجميع من الرؤيا الوطنية الصحيحية ... ثم يكون التقسيم بديلا عن وحدة الوطن.

هذا ما يسعي النظام اليه . انه يمهد للحظة الانفجار . يغذي كل الظروف حتي يصل الوطن الي حافة الهاوية ويكون التقسيم محرقة للجميع . إن شرخ الوحدة الوطنية - هذا الكنز الثمين والسلاح الأمضي في كل المعارك المنتصرة - كان هوالهدف المركزي الذي ركز عليه النظام . وهنا لابد من التفاصيل قليلا :

إن حافظ اسد لم يأت الي السلطة صدفة او بقوة عضلاته . إن اختياره كوكيل ومنفذ للمخططات الأجنبية لم يأت عبثا . لقد وجد فيه الاستعمار ضالته المنشودة كيف قبل انفراده بالسطلة أعطي اسد اشرات معبرة ومهمة عن طبيعة توجهاته المشبوهه " واستعدادته الخاصة " ومن هنا وقع اختيار الاستعمار عليه.

من هذه الاشارات :

* تسليم الجولان عام 67 دون قتال وإعلان سقوط القنيطرة علي يد العدو الاسرائيلي قبل سقوطها الفعلي بايام.
* رفض فك الحصار عن المقاومة عام 1970 أثناء احداث ايلول . وبعد استلام السلطة تابع الاسد تقديم البراهين لأسياده علي انه خير منفذ لمخططاتهم وتابع تقديم الخدمات , وللذكري فقط نذكر:

1. مذبحه المقاومه الفلسطنية في تل الزعتر واغتيال الشخصيات الوطنية اللبنانية أمثال جمال جنبلاط ورياض طه وموسي شعيب
2. مذابح ومجازر الداخل السوري واهمها بالطبع مجزرة حماه .

هنا لابد من وقفة عند نقطة هامه . كان أسد منذ البداية يعرف ان الشعب سيكشف يوما مخططاته وسوف يتصدي له عاجلا ام اجلا وبما ان شعب سوريا قد نجح في التصدي لكل المخططات الاستعمارية بفضل سلاحه الأمضي والأهم : الوحدة الوطنية من هنا كان تركيز حافظ اسد علي هذا السلام بالذات لثلمه الي الأبد : سلاح الوحدة الوطنية.

فكيف تصرف عمليا ؟ لفد لجأ الي السلام المعاكس : الطائفية السياسية وكان همه توريط طائفه معه في كل شيء بالترغيب والترهيب وبكل الوسائل المتاحة.

لجأ في البداية الي توزيع المراكز والامتيازات علي ابناء طائفته وكان ذلك توريطا وديا اذا صح التعبير سيعقبه بعد ذلك التوريط القسري والدموي.

وبما ان اسد كان يعلم ان الطائفة مثلها في ذلك مثل طوائف الوطن الاخري تضم بغالبيتها وطنيين مكافحين صلبين معادين للاستعمار ومخططاته فقد حاول بكل الوسائل توريطهم بالعنف وتغطيسهم في بحر من الدم لكي لا يستطيع هؤلاء ان يتصدوا له حتي بعد انكشاف ارتباطاته الاستعمارية لهم . لقد حاول ان يورط طائفته معه في مستنقع العذاب اللبناني واخيرا في بحر الدم السوري لكي لا يبقي لها اختيار آخر سوي الالتحام به والسير معه الي نهاية الطريق .

وكأنسان ملوث فقد حاول ان يلوث الجميع معه لكي لا يبقي أحد نقيا وقادرا علي مواجهته.

ولقد لعب علي عامل الخوف فبث الرعب في اوساط ظائفته وأوهمها انها مستهدفه وان مصيرها الفناء ان لم تلتحم معه وذلك ليسهل عليه تقسيم المنطقة الي دويلات طوائف بما ينسجم مع المخططات الصهيونية المعروفه.

* **جريمه حماه بعد ذلك ليست تآمر علي الوحدة الوطنية السورية فحسب . انها بالضرورة تآمر علي القشية العربية وعصبها المركزي القضية الفلسطينية.** لماذا ؟ الأجابة بديهية وبسيطة .... فحين يتمزق الوطن السوري ويطاح برأس الشعب السوري فالقضية العربي’ تهتز جذريا وتموت مختنقة حيث لا حياة لها في مشرق عربي مقسم الي دويلات ممزقة موزعة بين طوائف عدة.

المطلوب في هذا الزمن الرديء ان تتحول الأنظمة العميلة الي بديل كامل عن الشعوب ... تصادرها ومن ثم تقدم صكوك التنازل عن الأرض والشرف باسمها . هنا تقوم العلاقة بين ذبح حماه كمقدمة لذبح الشعب السوري كله وبين ذبح الأبرياء في صبرا وشاتيلا بعد ذلك كجزء من عملية الابادة المتعمدة للشعب الفلسطيني.

حماه ذبحت ليتحرر النظام الطائفي من الضغوط الداخلية ويكون لاعبا ماهرا علي أرض الهزيمة والسقوط ... ومن ثم الاستسلام والتقسيم.

* **ان مجزرة حماه بعد مرور عام عليها تكشف اكثر فاكثر .. هذا التوافق العجيب وهذا الايقاع المنتظم بين توجيهات النظام السوري وبين الاستراتيجية الأسرائلية:**
* ففي داخل سوريا تصب بلا ريب الرغبة الاسرائلية في اطار رغبة النظام في مقع الصوت الوطني للجماهير والختم علي افواهها بالشمع الأحمر حتي يختنق صوت المعارضة إلي الأبد ولا يرتفع صوت التقسيم عبر المجازر الطائفية.
* وعلي الأرض اللبنانية تصب الرغبتان في نفس القناة : تفكيك الشارع الوطني اللبناني والتشكيك بكل الروابط القومية التي تجمع شعب لبنان بأمته العربية عن طريق تحويل الجيش السوري الي اداة قمع ترفع السكين فوق رقبة اللبناني وتشجعه علي مقاتلة اخوانه من اللبنانيين ذاتهم من زرع الارض اللبنانية بمزيد من الالغام الطائفية وماحدث بعد الاحتلال الاسرائيلي في طرابلس والبقاع خير مثال.
* وفي اطار القضية الفلسطينية تلتقي الرغبتان من جديد . فالنظام الأسدي عبر الضوء الاخضر الامريكي الذي دخل بموجبه لبنان ومايزال تكلف برعاية المقاومة علي طريقته الخاصه فزرع الخلاف بين اطرافها كمقدمة لتفكيكها واضعافها كما بذل الوعود الكاذبة . وحين تقدمت جيوش الاحتلال الاسرائيلي تصدي لها بالصحف والاذاعات وترك المقاومة تواجه قدرها وحيدة وظهرها عار إلا من أجساد مقاتليها لتتكفل اسرائيل بالباقي.

هنا ... نتسأل ... هل كان يتم هذا التلاقي الضمني علي مائدة الشيطان بين تطلعات اسرائيل وتوجيهات النظام الاسدي لو لم تكن ابادة حماة هي جسر العبور لإبادة الشعب السوري وضرب كيانه الوطني ولجم صوته حتي يكون شاهدا صامتا علي سقوط مرحلة باكملها.

**مجزرة حماة ليست ردة فعل حاكم ظالم طائفي مستبد دموي ضد معارضيه ولا شكلا من اشكال التطور عند سلطة هجمية انكشارية.**

**مجزرة حماة هي كل المؤامرات المجتمعه التي تحدثنا عنها من قبل ... في سبيل تفجير وتمزيق المنطقة ... تمهيدا لمرحلة الاستسلام الكامل ومدخلا للعصر الصهيوني البغي .**

**لقد أريد من مجزرة حماه ان تكون نقطة التحول في دخول المشرق العربي النفق المرعب .**

**وحتي لا يتمكن أحد أن يرفع ولو اصبعه اعتراضا علي ما يحدث وبالتالي تنفيذ المخطط الرهيب الأسود وهو القضاء علي الوجود المادي والسياسي للكيان السور والأمة العربية علي امتداد العربي الكبير.**

**خاتمة**

**ما العمل ؟!**

**والآن .... ماالعمل ؟ وكيف الخلاص ؟**

**اولا ...** لنتذكر نحن ابناء سوريا ولنذكر الرأي العام العربي والعالمي بالحقيقه الجوهرية التي صار يعرفها أي طفل سوريا الآن وهي أن الصراع ليس بين النظام وبين مجموعة سياسية معينة كما يحلو للنظام ان يصور ذلك وانما هو صراع بين شعب بمعظمه يريد الحرية والكرامة ونظام عسكري فئوي رجعي عميل.

إن هنالك مسافة فلكية تفصل بين المجتمع السوري وبين السلطة القائمة وأن جوهر الصراع هو بين الشعب الذي يريد التغيير وبين نظام عسكري "توتاليتاري" هو مزيج غريب من المكارثية والستالينية والفاشية , يمتلك كأكثرهم نظم الاستبداد الشرقي " سيف المعز وذهبه" ولكنه يمتلك فوقهما قدرا لايداني من التسلط ذو الطبيعة الوحشية الذي لا يعرف معني الاقتناع أو المحاورة أو اعمال الفكر أو مقارعة الحجة بالحجة أو استخدام العقل والبرهان.

إن سوريا تمثل قمة املأساة في عالم عربي مجروح حتي العظم ومذبوح حتي الشريان بفعل الهزائم المتلاحقة.

ولذلك فإن طريق الخلاص يتمثل في رأينا ب :

1. **تواصل فئات الشعب السوري** مع بعضها البعض والنضال لترسيخ الوحدة الوطنية التي تكون اداتها قيام جبهه وطنية عريضة تقود كفاح الششعب في سبيل انها حكم الفرد وقيام حكم وطني ديمقراطي حقيقي تكون الديمقراطية والتعددية السياسية مرتكزه الأساس.
2. **المحافظة علي استقلال سوريا** وتحديا استرداد هذا الاستقلال الذي فرط به أسد وعدم الارتهان لأيه قوة خارجية وانهاء التبعية للسوق الراسمالية وتحرير الارض الوطنية المحتلة . ان سوريا معرض للأبادة الجغرافية والسياسية والتاريخية في حال استمرار هذا النظام.
3. **استعادة نقطة الصفر في النهضة الشاملة** وتحقيق التغيير الحضاري المطلوب المتمثل في بناء الدولة والوحدة العربية.

**و .....** تبقي الديمقراطية الهدف الاساسي ويبقي بناء الجمهورية الديميقراطية" سواء في سوريا او علي صعيد الوطن الكبير كله المهمة الاساسية لقوي الامة الحية حيث يكون الناس مواطنين لا رعايا يعيشون في أوطانهم بحرية وامان وحيث **تحل قوة** **القانون محل قانون القوة** وحتي تنتهي والي الابد حكم شريعة الغاب ويحل محله حكم الانسان . الديموفراطية – يلي – يجب ألا نمل من التكرار حتي تتحقق لأنها الأولوية التي تحدد الأولويات , ألف باء السياسه العقلانية الحضارية .... واكبر انجاز للبشرية في العصور الحديثة.

**"انها قد لا تكون دواء لكل داء ولكن قد يبقي أي دواء بلا مفعول علي الداء.**"

وفي الختام ..... كلمة أخيرة .....

لقد مرت الايام والشهور علي مأساة حماه ولكن يجب ان تبقي هذه المأساة حيه في قلوب السوريين والعرب المؤمنين كمثال رهيب علي ما بلغته هجمية وخيانة الحكم الطائفي العميل .

**وعلي "سوريا الغد" التي كبرت الم\اساة وتطهرت بالتضحية بأبنائها ربما الافضل ألا تنسي تلك الصحايا البرئية والمتواضعة التي دفعت في العذاب واللهب ثمن جريمتها الوحيدة : الوطنية .**

**لنتذكر ! أجل لنتذكر !**

**ملحق رقم 1**

**هويه مدينه**

حماه مدينة تقع وسط سوريا علي نهر العاصي يبلغ تعداد سكانها اكثر من ربع مليون انسان .

لااحد يعرف بالتحديد بداية وجود المدينة علي الارض فهي من اقدم مدن العالم كانت وقت من الاوقات عاصمة للممكله الحثية . وفي العهد الاسلامي انطبعت – مثل باقي بلاد الشام- بالطابع " العربي الاسلامي " وماتزال .

حاول الصلبيون اثناء حملاتهم الشهيرة عي المشرق احتلال هذه المدينة عدة مرات ولكنهم فشلوا بفضل استبسال ابنائها في الدفاع عنها . وكان قائد لحملات الحموية احد ابناء المدينة اسامه بن منقذ الذي هزم الصليبيين في موقعة شيزر .

وفي عام 1925 كان حماه من اوائل المدن السورية التي ثارت ضد المستعمرين الفرنسيين استجابة لثورة المرحوم سلطان باشا الاطرش في جبل العرب . وقد استشهد في القتال اكثر من 1000 مواطن حموي . وكان من قادة هذه الثورة البطل سعيد العاص ومصطفي عاشور ومما يجدر ذكره ان ابن مصطفي عاشور البالغ 85 عاما وحفيده المهندس مصطفي قد ذبحهما حافظ الاسد خلال المجزرة الاخيرة في حماه كما استشهد الدكتور صالح قنباز عضو المجمع العليم العربي وأحد رواد النهضة في سوريا.

في عام 1945 قامت في حماه ثورة كبري اخيره ضد الفرنسيين ووقعت معركة بين أهل البلد وحملة فرنسية عسكرية علي مدخل المدينة ذهب بنتيجتها عدد كبير من الشهداء . وقد اقام الاهالي نصبا تذكاريا في المكان سموه تل الشهداء (وقد نسفه حافظ اسد).

في عام 1981 سيأتي حاكم اسمه حافظ اسد ويقود حملة ضد المدينة ويدخل عن نفس طريقة الحملة الفرنسية – يالسخرية القدر ! – ويذبح من أهالي حماه المئات لا بل الآلاف في نفس المكان : تل اشهداء.

من حماة انطلق أوائل المتطوعين للقتال في فلسطين عام 1948 , ومن قبل خلال ثوره 1937 حيث استشهد البطل الحموي سعيد العاص وهو يقود المقاومة الفلسطينية في جبل النار.

شارك حماه ايضا ببعض من شبابها في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام 1941 في العراق وكثيرا من أولئك المجاهيدن قد قتلوا في المجزرة الأسدية الاخيرة !!!!

ومن حماه انبثقت حركة وطنية شعبيه كانت دائما سباقة في التضحية في سبيل الوطن وفي التصدي للحكام المستبدين والدكتاتوريات العسكرية المتعاقبة . وكان حماه مثال المدينة المعبرة عن الوحدة الوطنية حيث تعيش فيها أقلية مسيحية مناضلة بوئام وسلام منذ مئات السنين مع اهاليها وحيث يلتحم سكان المدينه مع الريف بكل طوائفه . ولهذا السبب – من اجل تاريخها الوطني العريق ولانها رمز المحدة الوطنية اجتاحها الحاقد العميل الصهيوني حافظ أسد وشقيقه وضواريهم وارتكبوا فيها اعظم مجزرة في التاريخ.

لقد تغني كثير من الشعراء بجمال المدينة وبمواقفها الوطنية منذ القديم ابتداء من امريء القيس وانتهاء ببعض الشعراء المعاصرين .

ولكن لم يكن أحد أبلغ من فارس الخوري أحد وراد الاستقلال وأحد القادة الوطنيين المبارزين حين وصفها فقال :

**حماه بها عز العروبه والندي**

**لها في مضامير الجهاد مفاخر**

**نال من أطاع الشعب نال كرامة**

**وفيها علي العاصي تدور الدوائر**

**ملحق رقم 2**

**اسماء الضحايا**

لكي لا يقال اننا نتحدث في فراغ . فاننا بكتابنا هذا الملحق . اننا نتحدث بالأسماء والوقائع والارقام . نعالج الحدث كما وقع دون زيادة او نقصان .

لا يعلم الا الله أسماء الضحايا كلهم . اننا نكتفي فقط بذكرها عدد الضحايا الحصول عليه من أسماء وما نحن متأكدون منه تماما وهو قليل إذا ما تذكرنا عددالضحايا الهائل .

لقد ذهب تحت الانقاض المئات وابيدت عائلات باكملها ومن الصعوبة بمكان الاحاطة بكل شيء . لنبدا بالمؤسسات وبالدوائر الرسمية:

مديرية التربيه : فقد ما يزيد عن 1000 شهيد ما بين معلم ومدرس.

مديرية الاوقاف : 200 شهيد.

البلدية : 105 شهيد.

معمل الحديد ك 88 شهيدا.

معمل الغزل : 86 شهيدا .

مؤسسة الكهرباء : 66 شهيدا .

معمل الاطارات : 59 شهيدا .

مديرية الاصلاح الزراعي 50 شهيدا .

معمل الاسمن : 48 شهيدا .

معمل البورسيلان : 42 شهيدا .

مديرية الاشغال العامة : 30 شهيدا .

مؤسسة ساركو للري 25

المستشفي الوطني 17

مؤسسة معامل الدفاع 45

مديرية المالية 15

مؤسسه سادكوب 14

مؤسسه أفوميتال 15

مؤسسه السكك الحديدية 12

معمل الصوف 8

معمل الزيت 8

مدرسة التدريب المهني 8

العدلية 8

مطاحن الحبوب 5

معمل التبغ 5

المصرف الزراعي 4

مؤسسة الابقار 3

فارمكس 3

نقابه المهندسين الزراعيين 18 مهندسا

نقابة الاطباء 5 أطباء

نقابه المحامين 2

بالنسبه للأحياء فأننا نذكر هنا عدد الضحايا وبشكل تقريبي لكل حي رئيسي علي انفراد:

**أ – حي سوق الشجرة :**

قدر عدد الشهداء ب 220 شخصا ينتمون لاكثر من 40 عائلة :

عائلة القندقجي 9 نذكر منهم عبد العزيز القندقجي وابنه احمد

عائلة السراج 9

عائلة الفخري 5

عائلة ابو سن 5

عائلة موسي باشا 10

عائلة صمودي 5

عائلة الطباع 5

عائلة الكوجه 5

عائلة كحالة 5

عائلة لحلح 3

عائلة حداد 5

عائلة قصاب 3

عائلة دادا 3

عائلة الزين 3

عائلة الشامي 3

عائلة فحلة 3

عائلة طواشي 3

عائلة حياري 3

عائلة راشد 2

عائلة مليح 2

عائلة حلاق 1

عائلة ابو طوق 1

عائلة شبلي 1

عائلة مرصفة 1

**ب – حي المحالبة**

عائلة الحلبية 54 شخصا

عائلة الريس 10

عائلة كشتو 9

عائلة جعلوك 8

عائلة الاسطي 8

عائلة دبور 5

عائلة الراس 5 منهم أمين الراس وبسام الراس

عائلة لحلح 5

عائلة الحواني الشيخ منير حوارني ووالديه

عائلة طقم 1

عائلة قصاباشي 1

عائلة نعيمي 1 هو عبد الرحمن نعيمي . شاعر ومدير معمل الاسمنت بحماه

عائلة سراج 1

عائلة السقا 5 ومنهم مصطفي السقا عضو قيادة الحزب الشيوعي البكداشي واخواته الاربعة.

**ج – حي الشيخ عنبر :**

عائلة سالم 12

عائلة البرازي 8

عائلة طعان 4

عائلة شويطي 3

عائلة سعد 2

عائلة شيخ خليل 2

عائلة شيخ خليل 2

عائلة حكواتي 2

عائلة فحام 2

عائلة فعور 1

عائلة سيد 1

عائلة بسيريني 1

عائلة جمعة 1

عائلة حلبي 1

عائلة عطية 1

**د – حي الحوارنة والمحطة :**

كانت الصحايا كثيرة اكثر من 500 شخص ينتمون لاكثر من 100 عائلة.

عائلة الكوجان 30

عائلة كلاس الحلبي 10

عائلة محيميد 10

عائلة الصوير 8 منهم عبد الرحمن الصوبر

عائلة الحوج 8

عائلة قمر دينه 8

عائلة قادر آغا 8

عائلة مكية 7

عائلة الشامي 7

عائلة الثلج 7

عائلة الفاعل 7

عائلة جراد 6

عائلة قنبر 7

عائلة كليب 5

عائلة أبو شفة 5

عائلة فرحات 5

عائلة الشامية 5 منهم فاروق الشامية وأحمد الشامية

عائلة النجار 5

عائلة البيطار 10 زمنهم عبد القادر بيطار وأولاده الاربعه

عائلة الصيرفي 5 منهم ابو ماجد الصيرفي

عائلة الرحمون 5

عائلة دقاق 5

عائلة نوفل 4

عائلة كوكو 4

عائلة عجمعوج 3

عائلة كلاس 3

عائلة قرني 3

عائلة رقيه 3

عائلة حمصي 3

عائلة جعمور 3

عائلة جمال 3

عائلة ابو عيشة 3

عائلة عابدين 3

عائلة مهباش 3

عائلة حلو 3

عائلة الحلبي 2

عائلة طرابلسية 2

عائلة كشكش 2

عائلة باشوري 2

عائلة فاخوري 2

عائلة حضرو 2

عائلة البستاني 2

عائلة الذكري 2

عائلة الشيخ جلد 2

عائلة جمعة الباكير 2

عائلة سبقت 2

عائلة الشعار 2

عائلة طواشي 2

عائلة قبش 2

عائلة ملي 1

عائلة مخزوم 1

عائلة الموسي 1

عائلة الخيال 1

عائلة غزال 1

عائلة شيخ قاسم 1

عائلة العظم 1

عائلة الفحلة 1

عائلة قنباز 1

عائلة سواح 1

عائلة سرحان 1

**ه- حي باب القبلي :**

عائلة آل الدوري 12 شخص منهم عمر الدوري

عائلة برادعي 5

عائلة عكعك 5 أشخاص منهم علي عكعك وأخوه

عائلة النسر 5

عائلة أرناؤوط 5 منهم موفق أرناؤوط

عائلة ودعه 5

عائلة ديماني 5

عائلة الحزواني 4

عائلة كالحسن 3

عائلة عباه 3

عائلة عرعر 3

عائلة الشر 2

عائلة بارودي 1

عائلة زكية 1

عائلة دبيس 1

عائلة مراد آغا 1

عائلة دقاق 3

**و – حي المرابط :**

عائلة النوري 40

عائلة المراد 12 وأكثرهم علماء ديت إسلامي ومنهم مفتي حماة الشيخ بشير المراد

عائلة الزبدي 5

عائلة حريري 5

عائلة شحنة 4

عائلة نيربية 4

عائلة دنكي 4

عائلة كردي 3

عائلة غناج 3

عائلة ملاطي 2

عائلة عريش 2

عائلة كابي 2

عائلة شقع 2

عائلة عبد العال 2

عائلة زعبي 2

عائلة صباغ 1

عائلة تركاوي 1

عائلة عثملي 1

عائلة لجمي 1

عائلة لطفي 1

عائلة بوشي 1

**ز – حي الحميدية :**

عائلة سفاف 10

عائلة تليتي 10

عائلة عثمان 6 منهم محمد وابنه

عائلةمنصور 5

عائلة مغمومة 5

عائلة مصري 30

عائلة كرزون 5

عائلة حزماوي 5

عائلة غزال 3

عائلة محنايه 3

عائلة كتيل 4

عائلة شعار 2

عائلة حمصي 2

عائلة جوهر 2

عائلة حلاق 4

عائلة دالي 2

عائلة حمود الناصر 4

عائلة عليوي 1

عائلة خراط 1

**ح – حي الشرقية :**

عائلة كاش 8

عائلة طالب آغا 5

عائلة ريحان 5

عائلة همهوم 5

عائلة يوسفان 4

عائلة خليف 2

عائلة شيخ الزور 2

عائلة شقفة 3

**ط – حي باب الحيرين :**

عائلة آوي 12

عائلة سنكري 9

عائلة عردوس 6

عائلة خاني 4

عائلة عكاري 4

عائلة عبادة 3

عائلة عاشور 3

عائلة عدي 2

عائلة بله 1

عائلة ربيع 1

عائلة طيفور 1

**ي – حي السخانة :**

عائلة كطاش 2

عائلة جر جنازي 2

عائلة قاسم 2

عائلة عيسي 2

عائلة أبو غريب 3

**ك – البارودية :**

عائلة الهبره 8

عائلة قنوت 8

عائلة البارودي 7

عائلة طربين 3

عائلة قربان 3

عائلة صباغ 2

عائلة سرميني 1

عائلة شقفة 1

**ل – حي العصيدة :**

عائلة المصري 19

عائلة الكفري 12

عائلة عبد الرازق 3

حي الشمالية :

عائلة نصر 15

عائلة زكار 12

عائلة حمصي 10

عائلة ربيعة 9

عائلة كامل 8

عائلة هندي 7

عائلة خرمه 6

عائلة شمالي 5

عائلة عثمان 5

عائلة سالمة 3

عائلةخضري 3

عائلة معطي 3

عائلة رحان 2

عائلة تويت 2

عائلة ابو زم 2

عائلة زيدان 2

عائلة حنيظل 2

عائلة قراصية 1

عائلة كربجها 1

عائلة خاني 1

عائلة ابو دمعة 1

عائلة حبيب 1

عائلة الورار 22

عائلة الامين 10 منهم سعيد الامين وأحمد وابنه

**حي الباشورة وشارع ابن رشد :**

عائلة طيفور 22

عائلة صمصام 17

عائلة حكواتي 6

عائلة تركماني 5

عائلة درويش 5

عائلة مفتاح 5

عائلة صحن 5

عائلة سلورة 4

عائلة بدر 3

عائلة اسود 5 منهم محمد سعيد السود ووالده

عائلة مغيزيل 3

عائلة زريعة 3

عائلة قرن 2

عائلة غزال 2

عائلة عيسي 2

عائلة ريس 2

عائلة صافية 2

عائلة شرباتي 2

عائلة علواني 2

عائلة حلاق 3

عائلة كلاس 1

عائلة قياسة 4

عائلة البيروتي 3

عائلة عربش 3

عائلة القباني 3

عائلة حوا 1

**ك – حي جنوب الملعب :**

عائلة لاذقاني 18

عائلة شريقي 7

عائلة مغمومة 3

عائلة مخللاتي 3

عائلة الشعار 2